الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

عنوان المذكرة

شعرية الوصف في رحلة "مدني وأهوائي جولات في مدن العالم" للطفية الدليمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- بوبة بن عبيد.
- أسماء بوخميس.

إشراف الأستاذ:

- رؤوف قماش.

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ فيصل الأحمر	جامعة جيجل	رئيسا
أ/ رؤوف قماش	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ عبد الرحمان مزرق	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 2021-2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

عنوان المذكرة

شعرية الوصف في رحلة "مدني وأهوائي جولات في مدن العالم" للطفية الدليمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:

- بوبة بن عبيد.
- أسماء بوخميس.

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

- رؤوف قماش.

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ فيصل الأحمر	جامعة جيجل	رئيسا
أ/ رؤوف قماش	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ عبد الرحمان مزرق	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 2021-2022

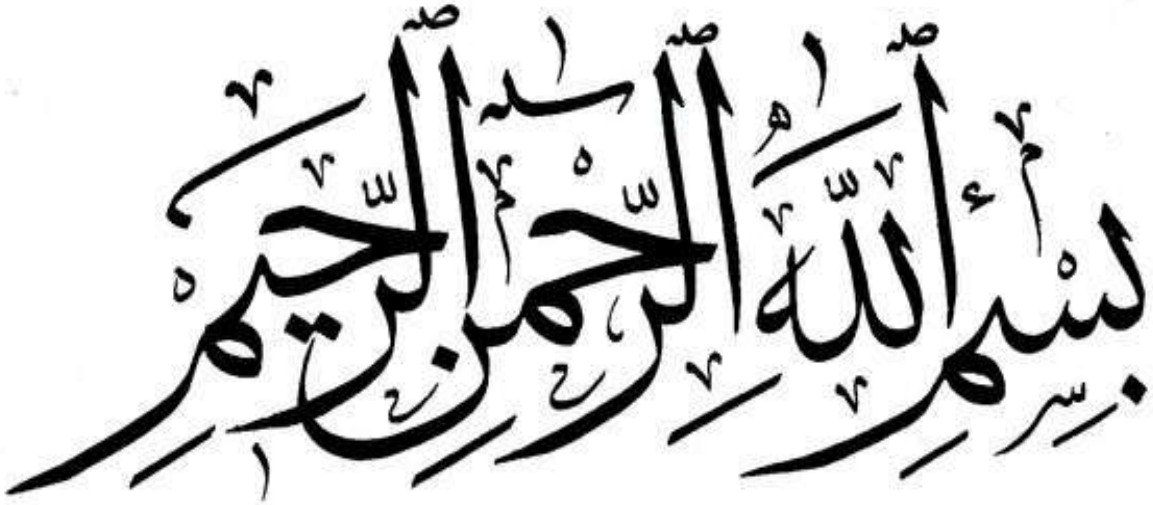
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير:

اللهم لك الحمد والشكر، وأنت المستعان وأفضل الصلاة والسلام على نبيك المصطفى العدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

نتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ "قماش رؤوف" الذي قبل الإشراف على هذا البحث، فلم يبخل علينا بإرشاداته ونصائحه، فبارك الله فيه وأكثر من أمثاله.

كما نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا طيلة هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة أو حتى ابتسامة.

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك.

ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك.

ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك، ولا تطيب الجنة إلاّ برؤيتك الله عز جلاله.

أهدي هذا العمل إلى نبع الحنان وبسمة الحياة والقلب الناصع

"إليك أمي العزيزة"

إلى صاحب السيرة العطرة، فلقد كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي

"أبي العزيز"

إلى من ثبتت في القلب محبتهم كما ثبتت في الراحتين الأصابع إخوتي

"خير الدين، علي، خلود، شيماء، أميمة، إيمان"

إلى صاحب الوجه والقلب الطيب زوجي العزيز ورفيق الدرب في الحياة

"رابح شحلاط"

إلى رفيقة المشوار التي قاسمتني جميع اللحظات

" أسماء بوخميس"

إلى كل من امتدت يداه إلى السماء داعيا لي بالتوفيق والنجاح أهديكم عملي وثمرة نجاحي.

" عائشة، وداد "

بوبة بن عبيد

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك، ولا تطيب الجنة إلاّ برؤيتك الله جلّ جلاله.

إلى روح جدّي الحبيب.

إلى من كلله الله بالهبة والوقار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمدّ في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد

"والدي العزيز"

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر إلى الوجود إلى الينبوع الذّي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى "والدتي العزيزة"

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى إخوتي

"إسلام، زين الدين، خديجة"

إلى رفيقة المشوار التي قاسمتني جميع اللحظات

" بوبة بن عبيد"

إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة إلى كل من امتدت يداه إلى السماء داعيا لي بالتوفيق.

أهديكم عملي وثمرة جهدي.

"أسماء، عائشة، وداد."

مقدمة

شغلت الرّحلة مكانة مميّزة في التراث العربي، نبّه إليها البّاحثون والدّارسون، ويعدّ مجال الرّحلة فضاءً للبحث لحمله رصيدا معتبرا من العلوم والآداب، إذْ هناك من يترحّل من أجل كسب مزيد من المعرفة التّاريخية، وهناك من ينشد المتعة والسّياحة. ولكن المتفق عليه أنّ الرّحلة تنطوي على جمال وفنّ وإبداع، ولقد اعتنينا في هذه الدراسة بجانب شعريّة الوّصف في رحلة لطفية الدّليمي تحت عنوان، شعريّة الوّصف في رحلة "مدني وأهوائي جولات حول مدن العالم" لأنّ هذه الرّحلة تظهر لنا تجربة أدبيّة ثريّة، تجلّت من خلال الأسلوب الرّشيق والماهر للكاتبة المتمرسة أظهرت تجربة حياة خصبة تفاعلت مع حضارات الشّرق والغرب بروح رائقة فكراً وأسلوباً. وهمنا من خلال هذا الموضوع هو كشف جوانب شعريّة الوصف في الرّحلة عند لطفية الدّليمي.

ودراستنا هذه ليست الأولى في مجال أدب الرّحلة، إذ سبقتها العديد من الدّراسات والأبحاث في مختلف الموضوعات المتعلقة بالرحلة، لكننا حاولنا جعل الوّصف في الرحلة اهتماما مركزيا في دراستنا، وهو موضوع لم يلقى عناية تليق بحجمه، ولا نستثني في هذا المجال مقالا كتبته "فوزية قفصي" والذّي يعد بحسب علمنا الوّحيد الذّي تناول موضوع شعريّة الوصف في الرّحلة حيث حاولت من خلاله إعطاء هذا العنصر الهام جدا في الرحلة ما يستحق من الدراسة.

وترمي دراستنا هذه إل التعامل مع التساؤلات التالية:

ما هي ملامح شعرية الوصف في رحلة مدني وأهوائي للطفية الدّليمي؟ بوصفه التساؤل الرئيسي

وتتفرع عنه التّساؤلات الآتية:

- ما هي الشعرية؟ وما هي حدودها؟
- كيف اشتغل عنصر الوصف في رحلة لطفية الدليمي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج البنيوي وعلى الشعريّات، كما وضعنا خطة تمثلت فيما يلي:

- مقدمة
- مدخل: عرضنا فيه لأشهر الرحالة في الأدب العربي في القديم والحديث وأبرز أعمالهم.
- الفصل الأول: تناولنا فيه عرضا مفصلا عن مفهوم الشعريّة وأصولها عند النقاد الغربيين والنقاد العرب كما تطرقنا أيضا إلى تحديد مفهوم الوصف ووظائفه وأنواعه، وعلاقته بالسّرد لنصل إلى تحديد العناصر المشكلة لشعريّة الوصف الرّحلي وهو موسوم ب: "شعرية الوصف في أدب الرحلة".
- الفصل الثاني: وتناولنا فيه دراسة شاملة لشعريّة الوّصف في رحلة مدني وأهوائي "للطفية الدليمي"؛ فقدمنا من خلاله وصف الفضاء (الفضاء المغلق، الفضاء المفتوح)، وكذلك وصف الشّخصيات (الشّخصيات الرّئيسية، الشّخصيات الثّانوية) كما تطرقنا إلى حدود العلاقة بين الوّصف والسّرد، وأيضا لغة الوصف مدعمين ذلك بنماذج من هذه الرّحلة للتوضيح والتفسير وهو موسوم ب: شعرية الوصف في رحلة مدني وأهوائي "جولات في مدن العالم" (للطفية الدليمي).
- خاتمة
- كما وضعنا ملحقا فيه نبذة حول حياة الكاتبة وأبرز أعمالها.

ولإنجاز البحث تسلحنا بعدة مناسبة تمثلت في المراجع التالية:

- رحلة "لطفية الدليمي" مدني وأهوائي جولات في مدن العالم.
- مقال الباحثة "فوزية قفصي".
- "فؤاد قنديل" أدب الرحلة في التراث العربي.
- "زكي محمد حسين" الرحالة المسلمون في العصور الوسطى.

ويعتبر كتاب لطفية الديلي مدني وأهوائي ومقال فوزية قفصي هما الأساسيان في موضوع دراستنا.

وككل بحث فقد واجهتنا بعض الصعوبات كانت أهمها:

- قلة المعلومات خاصة عن الرّحالة النّساء، قد يستغرق البحث عن عنصر واحد فقط أياما عدّة، دون تحصيل ما يكفي لعدم وجود تأليفات معاصرة في الموضوع.
- عدم وجود دراسات كافية عن الوصف في الرحلة خاصة.

وفي الأخير، مهما بلغ حجم الصّعوبات، فإنّها تهون أمام فرحة التّخرج، وهذا كله بفضل الله سبحانه وتعالى، نحمده ونشكره، كمّا نقدم جزيل الشكر، والتقدير للأستاذ المشرف رؤوف قماش لما قدمه لنا من مساعدات وتوجيهات.

الطالبتان: بن عبيد بوبة، بوخميس أسماء.

المدخل: الرحلة في الأدب العربي

شغف الرجل العربي منذ القديم بالرحلة التي كانت شكلا من أشكال الحياة التي فرضتها ظروف العيش، وأحيانا أخرى روح المغامرة والفضول الذي كان يدفعه لكشف آفاق مجهولة سمع عنها وتاق إليها، فشدَّ أشرعة السَفر ليمتد بأنظاره إلى أقاليم بعيدة، ولم يكتفي بذكر الأماكن بل راح يؤرخ لها ويسجل تفاصيل رحلاته التي لا تخلو من طرائف وعجائب، خاصة بعد الفتوحات الإسلامية وازدهار الحضارة العربية وثقافتها، فظهرت كتابات عن رحلات قام بها رحالة عرب كثر، ثم ظهر أدب الرَحلات ليشكل أحد أهم تجليات الثقافة العربية في كل العصور، ولم يكتفي الرحالة بزيارة البلدان المجاورة ناهيك عن البلدان العربية.

أولا: الرحلة في الأدب العربي القديم

إذا نظرنا في تاريخ العرب نجد أن أقدم الرَحلات العربية كانت عن طريق البر، حيث " كان الناس قديما يحتاجون إلى معرفة الطرق والبلدان إمَا للتَجارة وإما للفتوحات فكان عليهم أن يلجؤوا إلى التجارة والفاتحين لجمع ما لديهم من معلومات وتدوينها، ليتم تداولها عبر الأزمان". [1]

تشير أغلب المصادر إلى أن القرن الثالث هجري هو عصر نشأة أدب الرحلة عند العرب، الذي جاء مصاحبا لحركة التدوين ونجد أغلب رحالة النصف الأول من هذا القرن لغويين على رأسهم المؤرخ المعروف "بهشام الكلبي (206هـ): الذي يعد نموذجا للرَحالة الخبير بالجزيرة العربية من أهم مؤلفاته، كتاب الأقاليم والبلدان الكبير، والبلدان الصغير." [2]

[1] ينظر: جورج غريب: أدب الرحلة تاريخه وأعلامه. دار الثقافة بيروت، دط.ص: 25.

[2] حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي (أطروحة لنيل درجة دكتوراه) الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام أباد، 2009، 2013. ص :60.

ومن الذين ساروا على هذا الدرب "سلام الترجمان" (227هـ. 842م) الذَي عرف بإتقانه للعديد من اللَغات لذلك سميَ الترجمان، وقد قام برحلة إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج ومأجوج، بدأ رحلته عام 227هـ تفاصيل رحلته موجودة في المسالك والممالك لابن خردادبة". [1]

وبعد هؤلاء ظهرت كوكبة من الرَحالة الجغرافيين أبرزهم "اليعقوبي" (224هـ. 87م) (كتاب البلدان)، "ابن خردادبة" (300هـ.912م)، المسالك والممالك، "ابن رسته" 300هـ، (الأعلاق النفسية).

نشط التأليف في الرحلات في القرن الرابع هجري، فشهد ظهور رحالة كبار من أهمهم الرحالة الجغرافي الشهير "المسعودي" 346هـ أما عن مؤلفاته فهي كثيرة ضاع معظمها بسبب ضخامة حجمها وقلة انتشارها أما ما بقي منها كاملا أو مختصرا أبرزها كتاب ذخائر العلوم وما كان في سائر الدهور، وكتاب الاستذكار لما مر في سالف الأعمار، كتاب مروج الذهب ومعدن الجوهر". [2]

إضافة إلى المسعودي نجد الرحالة ابن فضلان "وهو من أبرز رحالة هذا العصر، بفضل ما كتبه عن رحلته إلى بلاد البلغار سنة 309هـ" [3] وغير ذلك من الرحلات التي اشتهرت في القرن الرابع هجري منها رحلة قدامة ابن جعفر 337هـ، ابن حوقل 331هـ، أبو زيد البلخي 235هـ.

لم يقتصر ظهور الرحلات على القرنين الثالث والرابع بل كان للرحالة حظا وافرا في جميع الأزمنة، ففي القرن الخامس للهجرة مثلا نجد "رحلات ابن بطلان عام 404هـ إلى الشام ومصر كان يرتحل من بلد إلى بلد بحثا عن المعارف والعلوم وسعيا لاكتشاف الجديد" [4] كما أشار فؤاد قنديل في كتابه "أدب الرحلة في التراث العربي" إلى

---

[1] ينظر: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدَار العربية للكتاب القاهرة، ط1و2، 2002. ص :91.

[2] ينظر: أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون. دار البيان العربي، جدة، دط ت، ص 101-102-103.

[3] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي. ص: 163.

[4] ينظر: محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه. ص:61-62.

الرحالة البيروني 440هـ، صاحب المؤلفات العلمية الرائدة التي حققت له شأنا عظيما من أشهر مؤلفاته كتاب رؤية الأهلة، كرية السماء ...الخ"[1]

ويكاد القرن السادس ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة، وإذ كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير فقد عرف القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة، وأول رحلة في هذا القرن رحلة أبي حامد الغرناطي الأندلسي وهو واحد من كبار الرحالة ويكاد يبلغ مكانة ابن بطوطة ومن مؤلفاته: "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب". [2]

كما برز أيضا الرحالة "ابن جبير" (540هـ، 1140م) الذي بدأ رحلته إلى الأراضي الحجازية، ودون أخبار الرحلة الأولى في شبه مذكرات تعرف باسم تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار." [3]

أما "ياقوت الحموي" (626هـ، 1229م) فهو من أهم الوجوه التي برزت في القرن السابع هجري، والمعروف عنه أنه لم يكتب أخبار رحلاته ومن أجمل ما ألف نجد معجم البلدان الذي امتاز بترتيبه على حروف الهجاء". [4]

وهذا القرن شهد دخول رحالة آخرون أيضا منهم "العبدري" (688هـ، 1289م) " رحلته لا تقل أهمية عن رحلة سابقيه إن لم تكن تفوقهم في بعض الجوانب، ولا سيما في جانبها الأدبي" [5] أما من مؤلفاته التي

---

[1] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي. ص :297.

[2] المرجع نفسه. ص: 355.

[3] ينظر: دكتور زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، بيروت، دط، 1401هـ،1981م. ص: 70-71.

[4] المرجع نفسه. ص: 105.

[5] أبي عبد الله محمد بن علي أحمد بن سعود العبدري، رحلة العبدري دار سعد الدين، دمشق، ط2، 1426هـ، 2005.ص:6.

خلفها نجد ثلاث تمثلت في: "مدخل الشرع الشريف على شموس الأنوار وكنوز الأسرار في عالم الحروف وروحانياته." [1]

زيَن القرن الثامن هجري بموسوعات مهمة، وكلها ساهمت في إضاءة أدب الرحلات وخدمته أمثال أشهر رحالة عربي على الإطلاق "ابن بطوطة" (ت778هـ) صاحب الرحلة الأكثر إثارة الموسومة بـ: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ومن أشهر رحلاته رحلته إلى الحج". [2] ويليه "ابن خلدون 808هـ الذي تعد رحلته آخر رحلة مهمة فقد أفاض في التعريف بذاته إفاضة دقيقة، فلقد سجل سيرته في كتابه "التعريف بابن خلدون" مؤلف هذا الكتاب، ثم غير هذا العنوان فسماه "التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غربا وشرقا". [3]

ثانيا: الرحلة في الأدب العربي الحديث

عرفت الرحلة الأدبية العربية خطوة جديدة كانت منعرجا حقيقيا في مسارها عند احتكاك الرحالة العرب بالحضارة الغربية وفي مقدمتهم: "رفاعة الطهطاوي" الذي احتك بالحياة الأوربية، حيث كان العلماء والأدباء يرحلون لأخذ العلوم والمعارف من أوربا والعكس.

من أشهر رحالة هذا العصر نذكر "رفاعة الطهطاوي" وهو "على رأس قائمة أعلام النهضة العربية، أشتهر بكتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز، أودع فيه نتائج رحلته في فرنسا". [4]

---

[1] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي.ص :465.

[2] حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي. ص: 64.

[3] أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون. ص: 221.

[4] ينظر: كمال بن محمد الريامي: مشاهير الرحالة العرب، كنوز القاهرة، ط1، 1434هـ، 2013م. ص: 121.

والجدير بالذكر أن السيد أمين الريحاني (1876م-1940م) لا يقل أهمية عن سابقه، " تتميز كتاباته بقدر عال من الإبداع والسلاسة والمتعة، ويختلف أمين الريحاني عن رحالة عصره أنه نشأ في الولايات المتحدة، وتعرف بعد ذلك على البلاد العربية من أشهر مؤلفاته: ملوك العرب، وكتابه المغرب الأقصى". [1]

كما لمع اسم الشيخ "ناصر محمد العبودي" (1345هـ-1388هـ) "الذي لقب بعميد الرحالين كتب أكثر من مائة كتاب في رحلاته التي قام بها في عُمره شغل وظائف رئيسية منها مدير المعهد العلمي كما صنف مصنفات أخرى منها معاجمه الشهيرة القمة في التاريخ واللغة وله مصنفات أخرى في الدعوة، أشهر مؤلفاته رحلات داخل المملكة العربية السعودية، جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط. [2]

ونجد أيضا رائدا من رواد النهضة العربية الكبار في العالم العربي وأديب وشاعر وكاتب وصحفي الرحالة " أحمد فارس الشدياق" (1804م-1888م) له كتابان في الرحلة الأول منهما (الواسطة في معرفة أحوال مالطة) والثاني (كشف المخبا عن فنون أوربا) والكتاب الأول ألفه في أخبار جزيرة مالطا أما الكتاب الثاني فبعد أن مضى أحمد فارس الشدياق في مالطة حوالي أربعة عشر سنة، ساقه عمله إلى بلاد إنجلترا فوصف لنا سفره في مالطة إليها وما شاهده في طريقه من مدن وأقوام." [3]

ولا نستطيع المرور دون ذكر "شكيب أرسلان" (1869م-1946م) وهو "علامة ومؤرخ وأديب ورحالة رائد من رواد النهضة في العالم العربي تولى بعض المناصب الحكومية، رافق في حياته جميع التطورات الفكرية والاجتماعية التي حدثت في الشرق العربي من أبرز رحلاته الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية." [4]

---

[1] ينظر: كمال بن محمد الريامي: مشاهير الرحالة العرب. ص: 176-177.

[2] عبد العزيز بن سعود العويد: لطائف من رحلات الشيخ الرحالة محمد ناصر العبودي دار أثلوثية، الرياض، ط1، 1435هـ 2014م. ص: 21، 22.

[3] كمال بن محمد الزيامي: مشاهير الرحالة العرب. ص :125-127.

[4] المرجع نفسه. ص: 162.

ثالثا: الرحلة النسوية في الأدب العربي

تعد المساهمة النسوية في الآداب العالمية مساهمة أدت ومازالت تؤدي إلى تغيير الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي في العديد من دول العالم، خاصة في القرن العشرين وينطبق الأمر على الأدب النسوي العربي الذي يناضل منذ زمن للنهوض بدوره في الثقافة العربية وإدماج المرأة بشكل فاعل في جميع نواحي الحياة فالمرأة عصب الحياة وقلبها النابض، حيث كان حضورها في مجال الأدب حضورا قويا إذ يعد دخولها في مجال الكتابة انتصارا لها في حد ذاته، بالرَغم من تعرضها للنقد إلا أنها واصلت الإبداع خاصة في مجال أدب الرحلة، الذي تأخر دخولها فيه كمبدعة إلى العصر الحديث مقارنة بالرجل الذي احتكر المجال الإبداعي فيه منذ نشأته.

ومن الرحالة النساء عائشة عبد الرحمن (1913م-1998م) المعروفة ببنت الشاطئ وهي مكفرة وكاتبة مصرية وأستاذة جامعيَة وباحثة تعد أول امرأة تحاضر بالأزهر الشريف من أوليات من انشغلت في الصحافة بمصر بالخصوص في جريدة الأهرام. من أبرز رحلاتها أرض المعجزات ... رحلة في جزيرة العرب، حيث تقول في رحلتها أرض المعجزات: " شددنا الرحال إلى المدينة المنورة، فما حومت طائرتنا فوق أرضها الطيبة، حتى اشرأبت لها أرواحنا الظامئة وقلوبنا المشتاقة، وانجابت عن أفقنا الظلال والغيوم ونحن نستقبل مثوى الحبيب، ونطوف بالربوع العاطرة بأنفاسه ونسير حيث سارت خطاه". [1]

ومن اللواتي سرن أيضا على هذا الدرب الكاتبة والصحافية "أمينة سعيد" (1914م، 1995م) «وهي رائدة ثورية في مجال الفكر الاجتماعي بصفة عامة وفي مجال الطور النسائي بصفة خاصة من أبرز مؤلفاتها "مشاهدات في الهند" والتي زارتها من أجل حضور مؤتمر نسائي» [2]

---

[1] عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1119. ص: 15.

[2] د. أورنك زيب الأعظمي: مشاهدات في الهند (دراسة نقدية) . ص: 2-3.

ومن أكثر الشخصيات النسائية المثيرة للجدل النقد، "نوال السعداوي" (1931، 2021م) والتي سعت في جل كتاباتها إلى تحرير عقل المرأة والمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، * وقد قامت بالعديد من الرحلات لم تكن غايتها السياحة وإنما هدفها كسب المعارف والعلوم حيث تقول «لم تكن رحلتي لإفريقيا سياحية، فالسياحة كالتكنولوجيا حكر على ذوي البشرة البيضاء من سكان العالم الأول.» [1] من أبرز مؤلفاتها : رحلاتي حول العالم" (الجزء الأول زائد الجزء الثاني) ، مذكراتي في سجن النساء وغيرها.

ولا يجب أن ننسى صاحبة جائزة ابن بطوطة للرحلات عام 2017 الكاتبة العراقية "لطفية الدَليمي" (1939م) عن كتابها، (مدني وأهوائي) الذي تناول مجموعة من الرحلات المختلفة وقد تميز بأسلوب كتابتها بجاذبية، إضافة إلى أن الكاتبة تتميز في إنتاج النصوص القصصية والروائية، فضلا عن كثير من الدراسات والترجمات، دمجت الكاتبة في رحلتها بين لغتها والخيال بصورة مجازية معتمدة على الذات لوصفها محور للعالم، وأساس يدور حوله كل شيء تقول « المسافة بين الطفولة والنضج محتشدة بالخرائط والأحلام والسقطات والحكايات مسكونة بهراء الكبار الذين غادرهم الحُلمُ كنت أنفصل عن الكبار وأقفز في المتاهة المسافة ومضة المسافة خدعة ». [2]

كما كتبت أيضا غادة السمان (1942م) في مجال أدب الرحلة أعمال خارج التصنيف القصصي، إذ يصنف عملها امرأة قوس قزح ضمن أدب الرحلات وهو السادس في هذا الإطار، ويتضمن الكتاب مقالات بلغت نحو ستين مقالا كلها في موضوع السفر وحفلت مقالاتها بطرافة وجرأة في التعبير.

ونجد أيضا الممثلة المصرية "شرين عادل" (القرن العشرين) التي انتقلت من عالم التمثيل إلى الكتابة وهي رحالة ومؤلفة أدب رحلات سافرت إلى أكثر من ستة عشر دولة في أوربا وآسيا والشرق الأوسط، صدر لها ثلاث كتب عن دار النهضة مصر، الأول هو ديوان نشر باسم حالة حب موسمية والثاني هو كتابها الأول في أدب الرحلات بعنوان "الأولة باريس" والأخير في أدب الرحلة هو الفيروزية".

* عرفت بهذا من خلال كتاباتها ومداخلاتها في وسائل الإعلام كحوارها مع الدكتور محمد عمارة في قناة الجزيرة.

[1] نوال السعداوي: رحلاتي في العالم، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، دط، 2017. ص: 226.

[2] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي، (جولات في مدن العالم)، دار السويدي للنشر، بيروت، لبنان ط1، 2016-2017. ص: 18.

الفصل الأول

شعرية الوصف في أدب الرحلة

أولا: مفهوم الشعرية

1-لغة:

للحديث عن الشعرية ينبغي لنا الإشارة إلى كلمة الشعر، وهذا يقودنا إلى البحث في المعاجم اللغوية لتبيان مدلولها:

الشعر في معجم لسان العرب من «شَعَرَ بِهِ يَشْعُرُ شِعْراً وشِعْرَةٌ ومَشْعُورَةٌ وشُعُورَا وشُعُورَةٌ وشِعْرَى ومَشْعُورَاء ومَشْعُورًا»[1].

فقائل الشعر وجب أن يكون فطنا والشعر ما شعر به الإنسان.

كما جاءت في معجم مقاييس اللغة "لابن فارس: «شَعَرَ الشِّينُ والعين والراء أصلان معروفان، يَدُلُّ أحدهما على ثبات، والآخر على عِلمٍ وعلَم (...) شَعَرْتُ بالشيء، إذا علمته وفطنت له (...) قالوا: الشَّاعرُ لأنه يَفْطِنُ لما لا يفطن له غيره»[2]

وورد في معجم "محيط المحيط" شِعْرٌ. ج: أَشعار [ش ع ر] (شعرَ. شَعُرَ) يَنْظِمُ الشعر: ينظم قصائد موزونة مُقَفَاه، وَفْقَ نظام من البحور الشعرية. أو حسب تفعيلة ما مع تنوع في القوافي أو التزام قافية واحدة تُعبرُ عما يَشْعُر به الشاعر".[3]

من خلال التعاريف السابقة للشعر كلها تؤول إلى أن الشعر هو ذلك الكلام الموزون المقفى الذي يعبر عن أحاسيس قائله.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 8، ط4، 2005. ص: 88.

[2] فارس بن زكريا الرازي: مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، جزء1، ط2، 2008. ص: 616.

[3] بطرس البستاني: محيط المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، مجلد 5، (باب شين وطاء)، ط1، 2009. ص: 134.

2-اصطلاحا:

للبحث عن مفهوم الشعرية، لا بد من إلقاء الضوء على مفهوم الشعر، فلمفهوم الشعر تاريخ بعيد الأمد، يعود إلى عهد أرسطو وأفلاطون، حيث ورد في كتاب "فن الشعر" لأرسطو، ما يلي: "محاكاة تتسم بوسائل ثلاث، قد تجمع وقد تتفرد وهي: إيقاع، وانسجام واللغة". [1]

إذن فالشعر عند أرسطو هو محاكاة، والشاعر الحقيقي عنده هو الذي يراعي هذه الجوانب الثلاث الإيقاع الموسيقي الانسجام بين الكلمات والمصطلحات، اللغة والتي يجب أن تكون مفهومة هادفة.

وإذا عدنا إلى التراث القديم نجد الكثير من النقاد الذين تحدثوا عن الشعر أمثال: أبي هلال العسكري، وابن سلام الجمحي: «الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات." [2]

إن جهود القدامى كانت مرجعا أساسيا للنقاد المحدثين فقد حاولوا استنباط قواعد الشعرية وتصنيفها علما قائما بذاته.

للشعرية مفاهيم متعددة لدى النقاد المحدثين ويشير إليها أدونيس بقوله: «سر الشعرية هو أن تظل دائما كلاما ضد كلام، لكي تقدر أن تسمي العالم وأشياءه أسماء جديدة أي تراها في ضوء جديد. اللغة هنا لا تبتكر الشيء وحده، وإنما تبتكر ذاتها فيما تبتكره". [3]

---

[1] خولة بن مبروك: بين تعدد المصطلح واضطراب المفهوم، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع، 2013. ص: 363.

[2] محمد بن سلام الجمحي: طبقات فصول الشعراء، ترجمة أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1982. ص:05.

[3] أدونيس: الشعرية العربية، دار الأدب، بيروت، ط2، 1989. ص: 78.

كما ذهب رومان جاكبسون بشأن الشاعرية إلى القول: «أنها تتجلى في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشيء المسمى ولا كميثاق للانفعال. وتتجلى في كون الكلمات وتركيبها ودلالتها وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد أمرات مختلفة عن الواقع بل لها وزنها الخاص."[1]

ويحدد تودوروف مفهوم الشعرية في قوله: « أن الشرعية لا تهتم ولا تعنى بالأدب الحقيقي، بالأدب الممكن أو المتوقع ومجالها عنده لا يقتصر على ما هو موجود بالفعل". [2]

بالإضافة إلى ما جاء في تعريف "حسين ناظم" في كتابه "مفاهيم الشعرية، الشعرية هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة، ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفظيا، إنما تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن تشخيص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي، وبغض النظر عن اختلاف اللغات". [3]

فهدف الشعرية هو تزويد الخطاب النقدي بقوانين تضبط الخطاب الأدبي وتجعله مختلفا عن باقي الخطابات باستخدامها لغة مميزة في التفسير والتصوير والمحاكاة.

ثانيا: أصول الشعرية

عند الخوض في مفهوم الشعرية، نجد أن أصولها تعود إلى الفلاسفة الإغريق واليونان، وبما أن البلاغة مرتبطة بالشعر فإن العرب أيضا ارتبطوا وخاضوا تجارب حول هذا المصطلح لأن للشعر دور فعال في نفوسهم ويعتبر من تقاليدهم وللحديث عن الشعرية لا بد من العودة إلى أصولها الأولى مرورا بتطورها وحتى وصولها إلينا.

---

[1] رومان ياكبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988. ص: 19.

[2] خولة مبروك: الشعرية بين تعدد المصطلح واضطراب المفهوم. ص: 368.

[3] حسين ناظم: مفاهيم الشعرية – دراسة مقارنة في الأصول والمنهج – المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994. ص: 9.

1-الشعرية عند الغربيين:

تعود الملامح الأولى لمصطلح الشعرية إلى الحضارة اليونانية، حيث تعود الأصول الأولى للكلمة "الشعرية" إلى الفكر الأرسطي « فهي بديل للمصطلح الفرنسي (poétique) أو الإنجليزي (poetics)وكلاهما منحدر من الكلمة اللاتينية (poetica)المشتقة من الكلمة الإغريقية (poietikos) بالصيغة النعتية التي تداولها الفرنسيون خلال القرن السادس عشر ميلادي بمعنى كل ماهو مبتدع مبتكر". [1]

يعتبر كتاب فن الشعر أول كتاب في تاريخ الإنسانية يتكلم عن الأشكال الفنية والتي من بينها الشعر، إذ أن شعريته هي تظافر لعناصر تتكون ضمن معيار كلي، تتكامل فيها كل الوحدات لتشكل نظرية قائمة بذاتها ومن أهم هذه العناصر: "المحاكاة، والحكاية، والتعبير، والنشيد، وتحديده للأنواع الأدبية التراجيديا والكوميديا[2] .

ويقتصر موضوع الشّعر عنده في العمل الشّعري فقط، والمعروف عن جون كوهين: مبدأ الانزياح اللّغوي والذي يقوم على ثلاث مستويات كبرى: التركيبي والصّوتي، والدّلالي وهذه المستويات الثّلاث لا يحقّقها النّثر بل يخلو منها تماما حسب نظره، ويقصد بالانزياح: « وجود تقليد شعري يحدده العُرف العام، ويقتضي الشّعر أن يكون انحرافًا وانزياحًا عن هذا التّقليد الشّعري لذلك تبحث الشّعرية عند جون كوهين في تمييز الأساليب" [3].

يعني أن اللّغة الشّعرية هي انزياح عن اللّغة العادية إلى اللغة الشّعرية المحمّلة بالتّراكيب والأصوات، والدّلالات عكس اللغة النّثرية التي تعتبر لغة مألوفة وشائعة.

إنّ شعريّة تودوروف أوسع من شعريّة جاكبسون وجون كوهين تشمل كل من العلم الشّعري والنّثر معا: فيقول:« ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشّعرية فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النّوعي الذّي

---

[1] ينظر يوسف وغليسي: الشعريات والسرديات، دار أقطاب الفكر، قسنطينة، الجزائر، دط، 2006. ص: 14.

[2] مشري بن خليفة: الشعرية العربية مرجعتيها وإبدالاها النصية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2010. ص: 27.

[3] مرشد الزبيدي: اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق. ص: 99.

هو الخطاب الأدبي ... فإنّ هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى يعنىبتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبيّة" [1]، فهو يرى بأنّ الشعريّة لا تهتم بالأدب أو العمل الأدبي فحسب وإنما تبحث في الخصائص المميزة لهذا العمل الأدبي، فالشّعرية عند تودوروف تلخّص في محاور ثلاث هي تحليل أساليب النصوص، القراءة الضمنية للعمل الأدبي واستخلاص الشفرات والمعايير المكونة للعمل الأدبي.

2-الشعرية عند العرب:

نشأت الشعرية العربية في أحضان الشعر العربي لأنّه كان الحافظ لعاداتهم وأنسابهم، ولعلّ المعلّقات العشر التي علّقت على أستار الكعبة ما هي إلاّ تعبير عن مكانة الشّعر في نفوس العرب القدماء.

والمتتّبع للشعريّة العربيّة عبر الحقب نجدها قد تطورت مع جهود النقّاد والبلاغيّين القدماء، ومن أبرزهم قدامة ابن جعفر إذ أنّ مفهوم العرب للشعريّة ينطلق من فهم الشّعر من خلال أركان هي: اللّفظ والمعنى والوزن والقافية، كما عرفه قدامة ابن جعفر في قوله: « الشّعر قول موزون مقفّى يدلّ على معنى، منطلقا لتصوير الشعريّة بوصفها تحدّد أركانًا للشّعر تتمثّل باللّفظ والمعنى والوزن والقافية، وكان عمود الشّعر ممثلا للأسس الشّعرية العربية وهي: شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف والمقاربة في التّشبيه والتحام أجزاء النّظم والتئامها على تخيير من لذيذ الوزن، ومشاكلة اللّفظ للمعنى، وشدّة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينها». [2]

يشير حسن ناظم إلى « أنّ معالجات عبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطجني للّشعر تخترق الزّمن للتواشح في المعالجات الحديثة له». [3]

---

[1] تزفيطان تودوروف: الشعرية تر: شكري المبحوث ورجاء بن سلمة، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط2، 1990. ص: 23.

[2] حسن ناظم: مفاهيم الشعرية – دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994. ص: 26.

[3] المرجع نفسه. ص: 26.

لقد كان النّظم نظريّة ناضجة لتفسير الظاهرة الإبداعيّة عمومًا وإعجاز القرآن خصوصًا». [1]

ويكمن سر الإعجاز في النّظم أيّ في علاقة اللّفظ بالمعنى وكان لهذه النّظرية تأثيرًا كبيرًا في علوم اللّغة فقد ورد عن الجرجاني: « أعلم أن ليس النّظم إلاّ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه ((علم النحو)) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخِلُّ بشيء منها».[2]

وتظهر علاقة النظم بالشعرية من خلال كون «النّظم هو الأساس في الكشف عن شعريّة الكتابة أو النص فالنّظم هو سر الشعريّة والمجاز هو سر النّظم». [3]

انتقى حسين ناظم نصّان لحازم القرطجني (684) «كذلك ظنّ هذا أنّ الشّعرية في الشّعر إنما هي نظم».

ويقول أيضا: «وليس ما سوى الأقاويل الشّعرية في حسن الموقع من النفوس مُماثِلاً للأقاويل الشّعرية، لأن الأقاويل الشّعرية التي ليست بشعرية ولا خطابية يَنْحَى بها نحو الشّعرية».[4]

يستخلص حسن ناظم من النّصيين السابقيّن « أنّ حازم القرطجنّي هو الوحيد — من بين النّقاد – الذي اقترب من المعنى العام للشّعرية في استعماله للّفظ». [5]

أما الحديث عن الشّعرية العربيّة الحديثة فهي تختلف عن الشّعرية القديمة من حيث اتّساع مفهوم المصطلح ومن حيث ارتباطها بشعريّة الغرب من جهة أخرى، فالشّعرية الحديثة مغايرة للقديمة لكونها قد وسعت من مجال دراستها ليشمل أنواع الخطاب الأدبي. في حين انحصرت الشّعرية القديمة بدراسة صناعة الشّعر وقوانينه.

---

[1] حسن ناظم: مفاهيم الشعرية – دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم. ص: 26.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تر: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004. ص: 81.

[3] ينظر: أدونيس: الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989. ص: 44-46.

[4] حسن ناظم: مفاهيم الشعرية. ص: 12.

[5] ينظر: المرجع نفسه. ص: 13.

ثالثا: حول مفهوم الوصف

الوصف جزء من طبيعة الإنسان ومنطقه لأنّ النّفس البشريّة بفطرتها محتاجة للكشف عن الموجودات ولا يكون ذلك إلاّ بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصور عن طريق السّمع والبصر، وهو من الأدوات الجمالية في النص الرّحلي، يعتمد عليها الرّحالة.

1-الوصف لغة:

جاء في كتاب "العين" «وَصَفَ: الوَصْفُ: وَصْفُكَ الشّيء بحليته ونعته. ويقال للمهر إذا توجّه لشيء من حسن السّيرة: وقد وصف، معناه: أنّه قد وصف المشيَّ أي وصفه لمن يريد منه، ويقال: هذا مُهْرٌ حين وَصفَ».[1]

وجاء في "مقاييس اللّغة" وصف: «الواو والصّاء والفاء أصل واحد وهو تحليّة الشّيء. ووَصَفَتْهُ أَصِفُهُ وَصْفًا، والصّفة الأمّارَةُ اللاّزِمَةُ للشَّيْءِ ... وأما قولهم: وَصَفْتُ النَّاقَةُ وُصُوفاً، إذْ أجادت السَّيْرَ». [2]

أمّا في معجم مُحيط المحيط لبطرس البستاني فالوصف هو: «وصَفَ [وصاف] وَصَفَ الشّيء يَصِفُهُ وَصْفًا وصفة نعته بما فيه وَحَلاَهُ. ويقال الصِّفَةُ إنّما هي في الحَالِ المنتقلة والنّعت بما كان في خَلق أو خُلق ووصف المهر توجّه لشيء من حسن السّيرة، وصف الطبيعة: نعتها بما فيها». [3]

ومنه فالوَصف هو تصوير لمشهد أو شخص أو إحساس أو زمان.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية بيروت، ج4، ط1، 1424، 2003. ص: 376.

[2] فارس بن زكريا الرازي: مقاييس اللغة.ص: 633-634.

[3] بطرس البستاني: محيط المحيط. ص: 495.

1-الوصف اصطلاحا:

اختلفت آراء الدارسين حول مفهوم مصطلح الوصف منذ القديم، إذ عرّفها لقدماء بقولهم: «الوصف تصوير الظّواهر الطّبيعية بصورة واضحة التّقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانيّة بألوان كاشفة عن الجمال». [1]

إذن فالوّصف قديماً يعنى به نقل الأشياء بصورة حقيقية فقدامة بن جعفر، على سبيل المثال يقول في باب نعت الوصف: «الوّصف إنمّا هو ذكر الشّيء بما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركّبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفا من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصُوف مركبًا منها ثمّ بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسّ بنعته». [2] أي إبراز حالة الأشياء ووصفها وصفا دقيقا.

أما غريماكس فعرَّف الوّصف بأنّه: «مستوى تنظيم التّعبير الكلامي يمكن أن يسمّى الوصف مقطعا من الحيز النصّي يقابل الحوار الذي هو حكاية أقوال السّرد الذي هو حكاية أعمال». [3]

وفي تعريف أحمد الهاشمي للوّصف يقول: « الوّصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثّلة له، وأصوله ثلاثة هي:

الأول: أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزاً له عمَا سواه،

الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق،

الثالث: أنّ لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ويكتفي بما كان مناسبا للحال». [4] وتبدو هذه النظرة نظرة تقليدية.

---

[1] عبد العظيم علي القناوي: الوصف في الشعر العربي، القاهرة، د ط، 1949، ج1. ص: 42.

[2] نقلا عن: محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، دار محمد على للنشر، صفقاس، تونس، ط1، 2010. ص 14.

[3] صادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2000. ص: 163.

[4] نقلا عن: هبة إبراهيم منصور اللبدي: الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث (أطروحة ماجيستار) جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2012. ص: 10-11.

والوصف أسلوب تعبيري يقدّم المظاهر الحسيّة للأشياء إذْ يمثل لوناً من ألوانِ التصويرِ«وبذلك يشكل الوصف نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يُستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أيّ مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلّف لتأسيس رؤيته الفنية»[1]أيّ أنّ الوصف يعكس الصورة الخارجية لهيئة من الهيئات.

ويراه جيرار جنيت من وجهة نظر سردية فيقول: «بأنّه كل حكييتضمّن. سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغير، أصنافا من التّشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا narration هذا من جهة أو يتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو الأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصف déscritption». [2]

رابعا: وظائف الوصف

الوصف باعتباره يلفت انتباه المتلقي لعنصر ما في النّص، شخصيّة كان أو مكان أو شيء وجب تحديد وظائفه، فالوصف في العمل السّردي يكون مقام العمود الفقري الذي يعطى لهيكل النّص اعتداله واستقامته، ووظائفه تعددت تسمياتها وعددها باختلاف الدارسين.

1-الوظيفة التفسيرية:

وتسمّى أيضا بالوظيفة التوضيحيّة، إذ تختص بتفسير وصف الرّحلة حيث: «يكون للوّصف وظيفة رمزية دّالة على معنى معين في إطار سياق الحكي»، [3] إذْ يفسر الوّصف سلوك شخصية ما بالإشارة إلى منزلتها الاجتماعية، ويقوم بذلك تلميحا لا تصريحا. كما أنّها «تكشف عن حياة الشّخصية النّفسية وتشير إلى مزاجها»[4]فهي تصف

---

[1] د. نبهان حسون السعدون: ما لم تقله خوذتي: دراسة تحليلية للوصف في قصص فارس سعد الدين العدد 27.

[2] حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت،1991. ص: 78.

[3] المرجع نفسه. ص: 79.

[4] سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مهرجان القراءة للجميع: (مكتبة الأسرة)،دط، 2004. ص: 1114-115.

مظاهر الحياة الخارجية من منازل وأثاث وملابس وغيرها كما تصف الحياة الدّاخلية ويظهر ذلك في قول سيزا قاسم: « هي الوظيفة التي تكشف لنا عن عوالم الشّخصية الباطنيّة والفكريّة والثقافيّة وتفسّر لنا كل ذلك من خلال وصف المكان الذي تقطنه الشخصيّة وهو وصف يتسم بالإيحائية والإشارية عن طريق التّشبيه أو المجاز أو الاستعارة». [1]

2-الوظيفة الجمالية

هي بمثابة عمل تزييني حيث «يؤدّي الوصف في هذه الحالة عملاًتزيينياّ يشكّل استراحة في وسط الأحداث السّردية، ويكون وصفا صرفا لا يتخلله سرد، وهو في هذه الحالة لا يساهم في التطور الدرامي للنّص وإنّما يضفي عليه جمالا فنّيا»[2] يعتبر تعبيرا منمّقا ينقل المتلقي أو السّامع إلى عالم آخر يتوق إلى رؤويته، كما «تُربفي الأشياء التي تملأ الأمكنة من مبان ومدن ومظاهر طبيعيّة مجرد زخارف تنميقيّة، وهو ما يعبّر عن نظرة دونية تجاه الوصف تسلب منه الدّلالات والوظائف التي يؤدّيها في النّص»[3].

ويعتبر الوّصف فسحة جمالية تنقل القارئ من عالم لآخر، فيصبح متخيّلا لأشياء لا توجد أمامه، وهذا ما نجده في اللّغة الشّعرية التي تنتقل بالقارئ من اللّغة العاديّة إلى لغة أخرى تجعله يتصّور أماكن وشخصيات كأنّها موجودة أمامه على أرض الواقع.

3-الوظيفة السّردية:

يعتبر السّرد المكوّن الرئيسي للخطاب الرّحلي عموما، فالكتابة تصنّف الأفعال التي تقوم بها الذّات الكاتبة والتي تنتقل من نقطة الانطلاق وتعود إليها، حيث«تُؤدِّي هذه الوظيفة كل وصف له علاقة بسير الأحداث ونموّها

---

[1] أحمد رحيم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار صادق الثقافية، ط1، 2012. ص:444.

[2] فوزية قفصي: شعرية الوّصف في أدب الرّحلة، رحلة ابن بطوطة نموذجا، مجلة التواصل، العدد 37، جامعة طارف، مارس .2013، ص: 159.

[3] عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2010. ص: 36.

ونرى أنّها تتجلى أساسا في ما عدَّه جينات فواتح وما نعتبره سوابق سرديّة وتعدّ بدايات النّصوص الواقعيّة موطنها المميّز وقد يشتمل الوّصف المؤدّي هذه الوظيفة كافة عناصر الحكاية وقد يقتصر على بعضها أو أحدها كالمكان أو الشّخصية»[1]. فالسّارد في هذه الوظيفة يقوم بإيقاف مسار السّرد ليصف مكانا أو شخصا أو شيئا، وهذه الوقفة ليست زائدة، بل هي هدف سردي يضيئ به "السّارد" الأحداث التي تلي،« فالمقطع الوصفي أو اللّوحة، يتمتع بالفعل باستقلال نسبي مؤكّد في الجماليّة الكلاسيكيّة فهو معزول في الغالب بوساطة بياضات ويمكنه من النّاحية التكوينيّة، أن يكون قد صيغ من قبل أو بعد المتتاليات السّردية التي يندرج فيما بينها»[2] إذ لا يمكن أن يكون النص السّردي خاليا من الوصف.

وتقول مها القصراوي موضّحة في هذا السياق: «تعمل الوقفة الوصفيّة مع المشهد على إبطاء زمن السّرد الروائي، حيث يتم تعطيل زمن الحكاية بالاستراحة الزمنية ليتسع بذلك زمن الخطاب ويمتد، فالوصف وقوف بالنسبة للخطاب». [3]

4-الوظيفة التّصويرية:

تسمى أيضا الوظيفة التمثيليّة، حيث يتم تصوير الواقع تصويرا فوتوغرافيّا وتقدم الوظيفة التصويريّة للوصف قيمة الوجود في صلب العمل الفنّي، بمعنى الوسف فيها أن تصور شيئا ما في صورة تعبّر عن ماهيته وحقيقته، ولقد «ازدهرت هذه الوظيفة في الرواية الواقعيّة الغربية وفي الرواية العربيّة التي سارت على دربها وتقوم هذه الوظيفة على مصادرة تقول إنّه بإمكان الكاتب المطابقة بين الكلمات والعالم أي أنّه بإمكانه تمثيل العالم بواسطة اللّغة فالوصف

---

[1] محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، دار محمد علي للنشر، وتونس، ط1، 2010. ص: 190.

[2] مديحة سابق: فعاليات الوصف وآلياته في الخطاب القصصي عند السعيد بوطاجين (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1434، 2013. ص: 101.

[3] عبلة عباد: شعرية السرد في روايتي اعترافات حامد المنسي والروابي الجميلة للأزهر عطية، أم البواقي ،دط، 2012. ص:43.

من هذه الرواية قادر على أن يرينا العالم كما هو». [1] أي إنّ الكاتب بإمكانه تمثيل العالم من خلال اللّغة، كما «تكسب هذه الوظيفة الشّيء الموصوف والمشاعر المصاحبة له، فيكتسب الوصف قيمته الدّلالية في النسيج العام. ويمكن أن نرى في هذه الوظيفة روحا تُضفي حيويّة على السّرد، فتمدُّ الإطلالة الأولى للوطن، يرسم الكاتب عالما على وفق شروط الحراك البصري.»[2]

خامسا: أنواع الوصف

ينقسم الوصف من حيث المبدأ إلى قسمين اثنين التّقريري والتّأثيري:

فالوصف التّقريري: « هو الوصف الذي يتناول الأشياء في مظهرها الحسّي، دون أثر واضح لتفاعل المشاعر الإنسانيّة معها، ويشبه (التّصوير الفوتوغرافي) الذي ينقل ما تراه العين بدقّة بشكل مستقل عن الشخصيّة الواصفة». [3]

أي أنّه يظهر الأشياء على حقيقتها أو أقرب ما تكون للحقيقة، ويراها كأشياء ماديّة دون الإحساس بها.

أمّا الوصف التّأثري:« يكون صدى للشخصيّة الوّاصفة، وهو يصور الأشياء من خلال إحساس الإنسان بها ».[4]

فالواصف هنا يسقط على الموصوفات مشاعره، ويقدمها غالبا من وجهة نظر نفسية، مما يفقدها أحيانا صورتها المألوفة.

---

[1] محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي. ص: 188.

[2] سمر الديوب: الوصف في السرد العربي القديم (منظر صيد العيد الحميد الكاتب أنموذجا)، مجلة دراسات في اللغة العربية، وآدابها العدد التاسع والعشرون، 2019. ص: 128.

[3] نداء أحمد مشعل: الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، عمان، الأردن، 2015م. ص: 42.

[4] المرجع نفسه. ص: 43.

سادسا: علاقة الوصف بالسرد

يعد السرد والوصف مكونّان أساسيّان في الأعمال الأدبية القصصيّة، ولقد اختلف الباحثون في دراستهم للعلاقة التي تجمع بينهما، يقول "جون ريكادو" حول العلاقة بين الوصف والسّرد فيما نقله عن "حسن بحراوي": « هو نوع من التنازع النصي ... فالوصف لا ينهض إلاّ على أنقاض السّرد الذي يستقبله ويَنجم عن ذلك صراع بين الإثنين يبدأ بهجوم الوصف، واحتلاله للنص يتلوه رد فعل السّرد الذي يأخذ في استعادة مواقعه وتأكيد مكانته في الميدان »[1]، فمن خلال قول "جون ريكادو" السّابق نجد أن العلاقة بين الوصف والسّرد علاقة تنازل وسباق فعندما يدخل الوصف في العمل الأدبي يتوقف عمل السّرد، ولكن هذا الأخير يستعيد مكانته فيما بعد ويثبتها ويفهم من هذا القول أنّ الوصف والسّرد يتناوبان في الواقع ..

أما "جيرار جنيت" فيرى أنه: «لمن السّهولة بمكان تصور وصف حال من أي عنصر سردي، أكثر مما يمكن تصور العكس.»[2]

وما يمكننا فهمه من قول جنيت هو أنّ الوصف يمكن أن يستقّل عن السّرد في العمل الأدبي، أمّا السّرد فعكس ذلك فالوصف ملازم له، ولكي يوضّح قوله أعطى مثالين: «المنزل أبيض بسقف من لوح مزرّق وبمصر أعين أخضرين، لا تحوز أيّة سمة سرديّة مميّزة، بينما جملة من قبيل دنا الرجل من المائدة وأخذ سكينّا تتضمن على الأقل، إلى جانب فعليّ الحدث، ثلاثة موصوفات مهما قلت نعوتها»[3].

في الجملة الأولى الوصف خال من السرد بينما في الجملة الثانية نص سردي تضمن الوصف، كما يقول في موضع آخر: «كل حكي يتضمن –سواء بطريقة متداخلة أو بنسب متداخلة شديدة التغيير–أصنافا من التشخيص

---

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، ط2، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2009. ص: 178.

[2] رولان بارت وآخرون: طرائق تحليل السرد الأدبي، ط1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992. ص :76.

[3] رولان بارت وآخرون: طرائق تحليل السرد الأدبي. ص: 76.

لأعمال أو أحداث تُكَوِّنْ ما يوصف بالتحديد سردًا"Narration" هذا من جهة، ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء، أو لأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصف"Déscription"»[1]، أراد من خلال هذا القول تحديد الاختلاف بين السرد والوصف، فحص السرد بالأعمال والأحداث أما الوصف فحص بالأشياء.

أما سيزا قاسم في كتابها "بناء الرواية"، فتقول: «إنَّ النص الروائي في جملته ينقسم إلى مقاطع وصفية ومقاطع سردية، -(وأيضا إلى حوار إنما الثّنائية الأساسيّة هي بين السّرد والوّصف)- وتتناول المقاطع السّردية الأحداث وسريان الزمن، أمّا المقاطع الوّصفية فتتناول تمثيل الأشياء السّاكنة، ونستطيع أن نتصور مقاطع وصفيّة خالية تماما من عنصر الزمان (...) ولكن من الصّعب تصور مقطع سرد خالي من العنصر الوصفي»[2].

من خلال هذا القول نستخلص أن النّصوص مزيج بين الوصف والسّرد، حيث السّرد متعلق بسير الأحداث أمّا الوّصف متعلّق بتصوير الأشياء.

بما أنّ السّرد متعلق بالأحداث والأزمنة، والوّصف مختص بالأشياء والأمكنة فإنّ: «العلاقة بين الوصف والسرد على مستوى الزمن هو علاقة المكان والزّمن في الوصف وهي علاقة تنبع من طرق معالجة الموصوف، حيث هناك طريقتان: الأولى تخضع العملية الوصفيّة لحركة الزمن، والثانية تفرغه منها، مما يجعل الوصف بالكيفية الأولى وصفا للفعل والحركة وبالكيفية الثانية وصفا للأشياء الثابتة، وهو ما يسمى بالصورة السّردية (الوصف المتحرك) الصورة الوصفية (الوصف الساكن) »[3].

وفي الأخير ما يجب أن نلاحظه على كل هذه الاختلافات التي تباعد بين الوصف والسرد، إنما هي «اختلافات ذات مساس بالمضمون، وليس أي وجود سيميولوجي بالمعنى الدقيق للكلمة: فالحكي يرتبط بأحداث

---

(1) حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي). ص:78

(2) سيزا قاسم: بناء الرواية. ص:116.

(3) عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح. ص: 149.

أو أفعال ينظر إليها باعتبارها مجرد إجراءات وفي نفس الإطار يشدد على المظهر الزمني والدرامي للسّرد، أمّا الوصف فهو على العكس من ذلك، نظر إلى أنّه يركز على أشياء وكائنات منظور إليها في دائرة تواقتها، ويضع نصب عينيه إجراءات ذاتها كما لو أنها مشاهد»[1].

سابعا: شعريّة الوصف الرّحلي

الوصف من المقومات الأساسيّة في أدب الرّحلات باعتباره أسلوبا من الأساليب التي اعتمدها الأدباء إلى درجة تجعل من الرحلة تقريرا يركز على كشف أبعادها السرديّة وصولا إلى صور تبني معالم الفضاءات ومكوناتها حيث يقوم بتقديم الصور والمشاهد في إطار الوصف باعتباره وسيلة ذات قيمة فنية وأدبية، حيث نجد جملة من المفاهيم مرتبطة بماهية الوصف منها.

1-الصورة:

يختلف تعريف الصورة كمصطلح، باختلاف الميادين والحقول التي يستخدم فيها هذا المصطلح، لهذا يكون البحث عن تعريف دقيق للمصطلح صعب، ومن بين مظاهر الصعوبة في تحديد التعريف للمصطلح في النقد الأدبي مثلا يعود إلى كونها تمثل «المرآة التي ينعكس فيها الخط الفردي-الخاص بما فيها من نسبية حتميّة تفرضها طبيعة الذات الشعرية التميّزة هذا من جانب، ومن جانب آخر إن تحديد الصورة الفنية، أو وصف طبيعتها يعتمد على ما تحدثّه في نفس متلقيها من وجوه الاستجابة وأبعاد دلالية وإيحائية...»[2].

---

[1] جرار جنيت: حدود السّرد، ترجمة: بن عيسى بوحمالة، في كتاب طرائق التحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، دط،1992. ص:17.

[2] بشرى موسى صالح: الصورة الشّعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994. ص:19.

بالرغم من عوامل الصّعوبة التي تتسم بالنسبية فإن محاولة مقاربة تصور اصطلاحي للمفهوم أمر لا يمكن التغاضي عنه.

تعمل البحوث إلى التمييز بين وجهين دلاليين مبسطين لـ"الصّورة" «فهي الشّكل البصري المتعيّن بمقدار ما هي المتخيّل الذّهني الذي تثيره العبارات اللّغوية»[1]، فالصّورة لها دلالة مباشرة بواسطة البصر، وصورة ذهنيّة ترتبط بالخيال وقدرته على بناء وتركيب هذه الصورة.

ولتقديم نظرة أكثر وضوحا عن الصّورة يقدّم "المعجم المفصّل في اللغّة والأدب" مفهوما شاملا: «صورة الشّيئ هي رسمه نقلا وتقريرًا، أو شَبَهَهُ وتمثاله، تقريباً، محاكاة، والصورة مادية حسّية، وإمّا معنوية تدرك بالعقل والتمثل الخيالي، والصورة الأدبية هي ما ترسمه، على نحو ما لذهن المتلّقي، كلمات اللّغة، شعراً ونثرًا، من ملامح الأفكار والأشياء والمشاهد، والأحاسيس، والأخيلة بعد أن كانت في المنطق، ممثلّة في ذهن الكاتب...»[2].

يبدو من خلال هذا القول بأنّ ما يهم الدراسة هو التصّور المقترح للصورة المرسومة عن طريق اللغة والصورة الأدبيّة التي تعبّر عن شكل من أشكال التخيّل التي ترسمها اللّغة، فالصورة جزء لا يتجزأ من تجربة الحياة البشرية.

والمطّلع على الوصف الرّحلي يرى أن الصورة تتعدد وتتنوّع ونذكر من أنواع الصّور:

أ-الصورة البلاغيّة:

يقصد بها «الصّيغ اللّغوية المستخدمة في تمثيل الأشياء والأفكار تمثيلا وصفيا، فهي صور مجازية تعبر عن صور مرئية يتمثلها الخيال، كما تشمل التراكيب ذات الإيقاع سواء من خلال تغيير ترتيب مكونات الجمل أو من

---

[1] د. صلاح فضل: قراءة الصورة وصورة القراءة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997. ص:5.

[2] إميل يعقوب وميشال عاصي: معجم المفصّل في اللّغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ج2. ص:774.

خلال ترتيب الألفاظ. وتعني أيضا الطرق التعبيرية عن المعاني والتكنية عنها، وكل هذه الصور التعبيرية تهدف إلى إثارة انتباه المتلقي وتنبيه العقل إلى استحداث علاقات مباشرة بين المدلولات»[1].

ب–الصورة الكاريكاتورية:

في هذا النوع من الصور يتم إبراز صورة مشوهة عن الموضوع، بإعطاء صفاته السّلبية ثم القيام بتضخيمها فيكون التركيز على هذه الصّورة من خلال المبالغة بقصد السّخرية، والمقصود من السّخرية ليس فقط ما يتعلق بالانتقاص من الموصوف بل هو نوع من إيجاد صيغة لكسر المحتمل، فهي أحد أهم أقنعته.

ج–الصورة النمطية:

وتعد من أبرز الصّور التي تقوم على تصورات أهمها ما ارتبط بالأدب واللّغة، «إعادة إدماج مكونات دلالية موسوعية لتحديد الدّلالة، فمنها ما هو وصفي يقوم على مجموع الصّفات التي تميّز الموضوع، ومنها ما هو إلزامي متعلق بمعايير اجتماعية»[2].

ومن هنا نستخلص بأن هذه الأنواع الثلاثة ارتبطت ارتباطا وثيقا بمعطيات الدّراسة في تعلقها بموضوع الرّحلة كما تعدّ هذه الأنواع من أهمّ وأبرز وأكثر الصّور تعبيرا على النظام التّعبيري للّغة.

2–الخيال والتخيل:

يتضح لما سبق أنّ شعريّة الرّحلة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالصّورة الفنيّة، أي بوصف الرّحلات بطريقة سرديّة توفي بالغرض المطلوب من خلال عدّة أنواع للصّورة المذكورة سابقا، والرّحلة لا تعتمد على الصورة فقط، فهي

---

[1] ينظر: المسعود جوادي: الرؤية المركزية–دراسة مقارنة، أنساق الخطابات العربية والغربية–، رسالة دكتوراه، تخصص أدبي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016-2017. ص:129.

[2] ينظر: المسعود جوادي: الرؤية المركزية –دراسة مقارنة أنساق الخطابات الرّحلية العربية والغربية–.ص:129.

تستدعي الذاكرة والخيال، فتبنى على ثنائية الحاضر والغائب. لأنّ الصورة في واقع الأمر «هي (الصورة) فعل ثقافة وممارسة للتعبير عن الهوية والغيرية في الوقت نفسه، (ولباس، والمطبخ، ولغات رمزية أخرى)، ضمن هذا المجال للصّورة مكانتها ضمن العالم الرّمزي الذّي نسميه (خيال)، والذي يسمى خيالا اجتماعيا لأنّه لا ينفصل عن تنظيم اجتماعي ثقافي»[1].

أي أنّ علم الصورة يهدف إلى الكشف عن كيفية تفاعل الرّحالة مع الغير (الأنا والآخر).

للحديث عن الصورة لا بدّ لنا من استحضار ثنائية الغيريّة والهويّة أي الخيال والتّخيل «فالصورة هي ترجمة (للآخر)، وهي أيضا ترجمة ذاتية»[2].

وواقع الأمر يشير إلى أن أغلب الرّحالة الذين يجوبون البلدان دائما يعبرون عن هويتهم وهوية قومهم أو مجتمعهم من أجل معرفة الذّات المنعزلة مع نفسها ووجود دافع الغير للقاء الآخر.

كما أنّ مصطلحي الخيال والتخيّل من المصطلحات التي لها مشاكل وإشكاليّات معرفيّة لا يمكن الوقوف عند مدلولاتها إلاّ من خلال تصوريها في سياقات فلسفية «فالخيال تَمَثُّلٌ وصِياغَةٌ للصّورة غير الموجودة أو تلك التي تستحضر، وتُرَكَبْ كفاعليّة ونشاط ذهني بشريا...، في حين أنّ التّخيل يقطع الصّلة في تصور الفلسفة الوضعية، بالمحادثة والإدراكية»[3].

من خلال القول تبيّن لنا أنّ مدح الخيال والتخيل تندرج ضمن دلالات متعددة السياقات باعتبار المصطلحين ذاهلة بمصطلح الصورة، أي استحضار التي سبقت رؤيتها من خلال القدرة الذّهنية في معرفة الصّورة والتّجارب الحساسة فهنا يكمن الخيال المبدع في استنباط صُوَر وأشياء لم تسبق رؤيتها أيّ تركيب صورة جديدة، من هنا نقول أنّ أهمية الصّورة تكمن في استظهار ووصف الرّحلة أو الرّحلات بأنواعها المختلفة، فمعظم الأعمال الفنيّة سواء

---

(1) دانيال هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1997. ص: 93.

(2) المرجع نفسه، ص: 28.

(3) ينظر: د. عاطف جودة نصر، الخيال مفهومه ووظائفه الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، دط، 1984.ص: 41.

كانت في إبراز جماليات الصور اعتمادا على مرجعيات نصية ونماذج مأخوذة من واقع الرّحالة، أو اعتماد الخيال والتخيل باعتبارهما قوة عقلية تجعل للمتخيل قدرة على الابتكار في تصور الأشياء وتمثلها.

الفصل الثاني

شعرية الوصف في رحلة مدني وأسوائي

"جولات في مدن العالم"

للطفية الدليمي

تمهيد:

يُعَدُّ الوصف من الدّعائم الأساسيّة التي يعتمد عليها المؤلف لنقل مشاهداته والتّعريف بالبلدان أثناء الرّحلة والأشخاص الذين يُصَادِفُهُمْ، كماَ يُعَبَّرُ عن عاداتهم وتقاليدهم الموروثة ووصف الأشياء التي يراها في محيطهم، إذاً فالوصف في الرّحلة لا يأخذ لونا واحدًا وإنما تتعدّد ألوانه.

أولاً: وصف الفضاء

المكان هو المادة المحورية والأساسية التي يَبنى عليها الرحّالة عَمَلَهُ، فَهُوَ يعتمِدُ دائمًا على تَقدِيمِ إشارات جغرافية تعْمل على تأثيث تصوّرات القارئ، لقد أولى الرحّالون البيئة المكانية اهتماما كبيرا ووصفوا الطبيعة الجغرافية التي تجري فيها الأحداث، المكان في الرّحلة لا يختلف عن المكان في الرواية إلى حد كبير، حيث ينطبق عليه مصطلح الفضاء سواء بسواء، إذ يقول حميد الحميداني في كتابه "بنية النص السردي" عن المكان: «إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نُطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء»[1].

وأهم وظائف الوصف في الرّحلة رسم المكان وتوضيح معالمه للقارئ لكي يتخيله وكأنّه يراه، فالأماكن في الرّحلة موجودة على أرض الواقع وليست متخيَّلة من ذهن الرحالة، وهذا ما زاد الوصف مصداقية، فالمكان له حضور خاص ومميز في المتن الرحلي، والرحالة أساساً كان هدف سفرهم هو اكتشاف المكان الذي يمثل بالنسبة له آخر مجهولاً، يُغرَى بالخوض في خباياه ومكنوناته، لينقل لنا صورته النهائية التي تشكّلت في ذهنه من خلال المعاينة المباشرة التي لا تخلو من الرؤية الذّاتية للرحالّة خاصة إذا تعلق الأمر بمكان تاريخي أو ديني أو قومي.

[1] حميد الحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي). ص: 63.

للمكان حضور خاص في رحلة"" لطفية الدّليمي" فلا تَكَادُ تُوجَدُ منطقة زارتها إلا وقدّمت وصفا مفصلا لها ولأهم مراقفها، فقد كانت دقيقة الملاحظة ذات إحساس عالي بالأشياء والأمكنة، لقد كان تصويرها يضعُنا أمام صورة تمتلئ حيويّة وتأخذنا إلى خارج حدود الزّمن، وقد تعددت إهتمامات الوصف وموضوعاته في رحلة لطفية الدّليمي التي زارت أماكن كثيرة ومتنوعة وقد قصدت دمشق، القاهرة، إيران، مدريد، ألمانيا، وغيرها من البلدان.

والمكان في طبيعته ينقسم إلى قسمين: المكان المفتوح والمكان المغلق.

1-وصف الفضاء المفتوح:

أ -المدينة: تعتبر المدينة من الأماكن المفتوحة، وبؤرة الاتصال الثقافات مع بعضها البعض، ومركز لاستقطاب السياح، وهذا ما حدث مع لطفية الدّليمي التي استهوتها زيارة العديد من المدن، ووصفها وصفا دقيقا، حيث تعتبر دمشق أول عاصمة تزورها خارج حدود بلادها تقول عنها: «دمشق زمن يمضي دون هواة في مرايا التأريخ دمشق تقويم منقوش على الحجر وآخر منقوش على ذاكرات النساء ووشم أجسادهن... ويشير كل نقش إلى أزل لا يدرك له أحد» [1].

استخدمت السّاردة ثقافتها، فرسمت صورة تاريخية عن مدينة دمشق العريقة، وعن ما عاشته المرأة الدمشقية في تلك الفترة كونها جارية أو ربة بيت مضطهدة، والسّاردة هنا تتجه إلى ما تريده أن تراه، فتنتج رؤيتها للمدينة والمكان، وتصفها وصفا ذاتيا وصف السّاردة الوّاعية المثقّفة القارئة للتاريخ والمدركة بؤس الرّاهن.

وثاني رحلة خاضتها الكاتبة كانت وجهتها بيروت وهي أوّل رحلة لها في البحر لأن أغلب رحلاتها كانت عبر القطار، وعند وصولها إلى بيروت عبّرت عن دهشتها في الحشود الموجود في الميناء، حيث صرّحت في وصفها

[1] لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص: 37.

لهذه المدينة العريقة فقالت: «بيروت مدينة الآلهة ودوار عبّاد الشّمس والوعود العائمة على ضجيج الطوائف وهمهمات الشّعر»[1]، نلاحظ هنا أن وصف لطفية لهذه المدينة وصفٌ شاعريٌ، خالٍ من أي تعبير مباشر يقوم على تشبيهات واستعارات فمثل تشبيهها لمدينة بيروت بعباد الشمس، وقد وصفتها وصفا ذاتيا لأنّها تذكّرها بمدينتها بغداد.

وتستمر رحلاتها لتحطّ برحالها هذه المرة في الإسكندرية، فأخذت تصف كل شيء يقع ناظرها عليه قائلة: «الإسكندرية هي بقايا المدينة الهجينة في نهاية الستينات الأحياء العتيقة التي غادرها معظم سكانها من الإيطاليين واليونانيين قد تحولت إلى عالم مختلف تطغى عليه تقاليد الريف في قلب المدينة الكوسموبوليتانية».

تحدثت الكاتبة هنا عن حالتين عاشتهم المدينة، حيث كانت فترة السّتينات أفضل حال من اليوم نتيجة لتعدّد الأجناس والتفاعل الثّقافي: والحركة، والآن أصبحت مجرد مدينة مصرية مكتظة بسكان الريف وتقاليدهم: أي أنها تريد التحدث عن تبدل حال المدينة وتدهورها من الأحسن إلى الأسوء، فعبرت عنه بشكل إجمالي من خلال استخدام مصطلحات وصور بيانية (الإسكندرية هي بقايا المدينة الهجينة) (المدينة الكوسموبوليتانية)[2].

ثم تأتي "القاهرة" التي شبهّت نهرها وجسورها بما هو موجود في بغداد، تحدّثت عن كل ما يلفت نظرها من أماكن صغيرة أو كبيرة، قديمة أو حديثة، كما أشارت إلى أبرز الشّخصيات التي خلدّها الزّمن إذ تقول في وصفها للمدينة: «القاهرة مدينة في قلب مدينة، في قلب مدينة أخرى تطلق المتع من بؤر التّناقض، طاردة الأهوال والمواجع عند حافات النّيل ووصايا الملكات الغارقات والملوك المتوجين بالنسور والمدائح، عُشّاقُها بَريمُون بالوصايا ونساؤها يغوين يوسف من كوى الخرافة....»[3] هنا نجد وصفها للقاهرة وصفا موضوعيّا على غرار المدن الأخرى

[1] لطفية الدّليمي: مدني واهوائي. ص: 42.
[2] المرجع نفسه. ص: 51.
[3] المرجع نفسه. ص: 58-59.

فترى بأن القاهرة هي مدينة في قلب مدينة، عدا الزّحام الذي لا مهرب منه، إذا كانت مكافأة تحملها زيارة المتحف المصري العظيم وخان الخليلي والمكتبات العريقة.

كما أجادت وصف طريق الوصول إلى "قصر شيرين" حين تقول: «كانت آثار طريق الحرير الموشومة على الأرض العتيقة تهمس لنا بأساطير العشق التي قادت رحلتنا من "النفطاخانة" "العراقية عبر المنعرجات" و"التلال الخضراء" إلى "قصر شيرين" البلدة التي تحرسها غيضات نخيل وجبال صخرية صمّاء...المدينة الغائمة التي تتعالى من أزقتها آهات النساء، وأغاني الغجر...»[1].

هنا كاتبتنا بحسها وأسلوبها، ولغتها الأنيقة، ومن خلال رؤيتها لتلك الأجواء الموجودة في القرية، عبرت عن مدى الأحزان والآلام المسلطة على أهلها.

لتصل بعد ذلك إلى مدينة "همدان" والتي عند وصولها بحثت عن نصب الفيلسوف ابن سينا، ونجد ذلك في قولها: «ما كان يعنيني أكثر في همدان ليس بابا طاهر، بل الفيلسوف العارف ابن سينا، بحثت في الخرائط وسألت بعد المارة، لم يفهموا مقصدي، كانوا يكتفون بتسميته (بو علي)، لم أكن أعرف شيئا عن نصبه التذكاري المتشامخ فوق ضريحه وسط حدائق فردوسة مبهرة»[2]، أي أن زيارتها لهذه المنطقة كانت ذات هدف شخصي من أجل الوصول إلى كنوز المخطوطات المحفوظة في مكتبة ابن سينا، والاطلاع عليها.

لتحط الرحال بعد ذلك في مدينة "طهران" الأنيقة بأشجارها والتي تتميّز بجمال نسائها وتنوع مطابخها حيث تقول واصفةً لها: «طهران مدينة الفيروز وبازارات التّحف والتّوابل والصّناعات الشعبيّة والنساء المقدودات من لهب وزعفران تلقي دثار السّلطة على الشّمس...النساء الفارسيات سليلات الجمال المعتق باسلات أنيقات الروح والمظهر...بهرتني في إيران الإمبراطورية شوارع طهران، الفارهة العريضة، ذات المسارات العشر وهي تحمل

(1) لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 69-70.

(2) المرجع نفسه. ص: 76.

أسماء رؤساء دول كبرى»[1]، هذه المدينة تركت أثرا جميلاً في نفسية لطفية الدّليمي: حيث اندمجت في أجوائها بجميع حواسها.

وبعدما وصلتها دعوة من مجلة هنغارية للأدب الجديد، تعرّفت على مدينة بودابست، فتقول: «في جولاتي خارج بودابست رفقة الصديقة الهنغارية شئنا أن نرتاح عند غجر تنتشر عرباتهم وكرفاناتهم المتهالكة في غابة تنحني على الدّانوب، وهم يمرحون بين أشجار الدلب والصفصاف...»[2]، من خلال ما قدمته لنا عند زيارتنا لهذه المدينة جعلتنا نسرح بمخيلتنا معها في تلك الأجواء الغجرية المليئة بالنشاط والحيوية فمن طريقة وصفها وأسلوبها الجميل تعرفنا على عادات وتقاليد مدينة "بودابست".

بعدها جاءت زيارة مدينة(لندن) ترشيحا لها لدورة صيفية في بريطانيا للتّعرف على الأدب الإنجليزي: "ولكن هنا لم يقف عائقا أمامها لتطلق العنان لإبداعها، فتقول واصفة لنا لندن: «ليس من مدينة أوروبية مثل لندن عاصمة الإمبراطورية التي غابت عنها الشمس، مدينة أحلام سكان المستعمرات، هي المدينة الأكثر ألفة وحميمية ... لندن الكئيبة العتيقة المزدحمة المضببة الحنون والقاسية تخرج من تعاليمها الكلونيالي برهة براقماتية لتحتضننا نحن أبناء المستعمرات القديمة وسوانا من قارات الأرض كلها، بدت في تلك البرهة الكريمة أما روما تغدق علهما وآدابها عشاق لغتها»[3].

يوميات بارعة تعكس ثقافة صاحبتها وذوقها الأدبي الرفيع وشغفها الخاص بالأمكنة، لتحطّ بنا في مدينة "بلاكبول" السياحيّة التي لم تنل إعجابها، حيث تقول في الكلام عنها: «لم ترق للمدينة لبهرجها السياحي

---

(1) لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص: 82.

(2) المرجع نفسه. ص: 97.

(3) المرجع نفسه. ص: 105.

ولافتات حزب العمال الذي يتخذ المدينة مقرا له، بحرها الرمادي كدر لا يشبه البحار الرحبة الزرقاء، أجمل ما تمتعت به فيها ذلك المشي البحري القائم على جسر أو مرساة تخترق البحر المعتم...»[1]

نلاحظ أن الكاتبة لم ترق لها المدينة: واصفة بحرها بالبحر المختلط الذي اختفى لونه الأزرق، ويصبح لونه رماديا، وهنا نجد بأنها وصفت المدينة وصفا موضوعيّا.

وفي الطريق لجزر الكناري الإسبانية في المحيط الأطلسي كان اللقاء مع (مدريد) التي وصفتها كاتبتنا في قولها: «مدريد مدينة باسمة كعروس زاهية، مغوية وأليفة» تمنحك شوارعها الواسعة إحساسا باللانهاية والأمل، ومن نوافرها ذات التماثيل المذهبة»[2]، فهي مدينة تتكثف فيها الحياة في نكهة مثيرة، لتغادر بعدها متجهة نحو «لاس بالماس" عاصمة جزر الكناريا التي تعتبر مدينة النساء الجميلات والنخيل ومتحف كولومبوس فتقول عنها «جزر الكناري بلاد فردوسية تتفوق في سحرها على إمكانيات الخيال»، الهوية مشتبكة ما بين الثقافة الإسبانية والبربرية والمؤثرات العربية والإفريقية...»[3].

إن وصفها لجزيرة الكناري لتبعث على الحياة المفعمة بالحركة، وهنا تستخدم عنصرا لتشبيه في الوصف إذ عبرت عنها بجنة الفردوس.

ومن جزر الكناري تنتقل بنا إلى مدينة العشاق باريس لتصفها بـ"«الكاروسيل–دوامة الخيول الدوارة في السيرك–تدوخك وتدور بك ثم تباغتك بالنهاية والوشيكة لتهبط إلى الأرض، مترنحا ووحيدا وفي ثيابك بقايا رعشة، وفي قلبك بقايا غبطة طفوليّة: أنتَ في باريس!!..»[4]، تذكر الكاتبة أنّ عالم رحلتها لا يتشبه العالم

(1) لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 115.
(2) المرجع نفسه. ص: 123.
(3) المرجع نفسه. ص: 134.
(4) المرجع نفسه. ص: 178.

التقليدي المعروف في الرّحلة، فهو عالم خيالي لا تشكل فيه العوالم الحقيقية إلا هياكل عامّة، تؤكد قوة بنيان العوالم المتخيلة القائمة على النفس وهذا ما لاحظناه خلال رحلتنا إلى باريس.

ب–الشارع:

يُعَدُّ الشّارع من الأماكن المفتوحة الملفتة للإنتباه، وهذا ما نلاحظه على الرّحالة والكاتبة "لطفية الدّليمي"، فكلما زارت مدينة إلا وأشارت إلى أهم ما يميزها، حيث عمدت إلى وصف الشوارع وأهم ما لفت انتباهها فيها، إذ نجدها تقول عن أزقة مدريد في وصفها لها: «أزقة مدريد المرصوفة بالبلاط الملون تفصح عن حوانيت عتيقة تعرض أنواعا شتى من اللحوم المقددة، متاحف لبراعة الإنسان في حفظ قوته لأيام الحروب والمجاعات...، في حين تضج المقاهي بالموسيقى وإيقاعات الفلامنغو...»[1].

ومن خلال أسلوبها المميّز في سرد الأحداث وعند وصفها لهذه الأزقة ذكرت أهم ما تتميز بها هذه المدينة العريقة من ألوان الأرصفة، الحوانيت، المقاهي، المطاعم، ورقصة لفلامينغو التي تتميز بها المرأة الإسبانية التي تقدمها كعروض للفت إنتباه المارة.

وفي رحلتها إلى قرية أغويماس التي يقولون بأنّها تأسّست ونشأت وولدت من تزواج البركان والمحيط أخدتنا معها في جولة لاستطلاع الطبيعة ومناظرها الجميلة فتقول واصفة شوارع هذه القرية: «شوراع القرية الملونة ترنو إلى الجبل ومن جانب آخر تنحدر الأزقة في طريق صخري منحوت نحو المحيط بين أغويماس وقرية الصيادين (أريناغا) تزهو الشوارع بنباتات الصبار العملاقة والصخور الطبيعية المنتصبة...»[2] وصفت لنا الكاتبة كل ما رأته بجميع

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 124.

[2] المرجع نفسه. ص: 140.

حواسها وصفا دقيقا، وقربت صورة هذا الشارع لذهن القارئ بأسلوب بسيط تحس لوهلة وكأنك تعرفه أو زرته من قبل وهذا ما إن دلّ على شيء دلّ على دقة وصفها.

لتحلق بعد ذلك إلى مدينة باريس، فتأخذنا إلى أحد الشوارع المميزة فيها "شارع بلفيل"، حيث تقول في وصفها له: «في هذا الشارع القيامي المجنون، يشكل الصّينيون أغلبيّة مهيمنة، فهنا مطاعمهم وأسواقهم ونواديهم وموسيقاهم ومصاريفهم ومافياتهم؟ يليهم الأفارقة وعرب شمال إفريقيا والسوريون والمصريون...»[1]، وبأسلوب مباشر معبر. قدمت لنا لطفية نظرة مختصرة عن "شارع بلفيل" الفرنسي، فرغم كونه شارع فرنسي إلا أن سكانه صينيون وأفارقة وعرب وهذا ما أثار إعجابها وحاولت إيصاله في صورة حيوية فيها نوع من الاندماج والتفاهم والأخوة بين أجناس مختلفة في بلد غير بلدهم الأصلي.

ج–البحر:

يُعْتَبَرُ البحر فضاءًا واسع له ميزته الخاصة ودلالة معنويّة فقد جاء وصف البّحر في هذه الرّحلة كوسيلة للتنّقل لا أكثر، إلا أن الكاتبة لم تضيع عليها الفرصة للتأمل فيه والتحدث عنه فتقول واصفة إياه: « البحر ليس النهر: إنه ظلّ السماء الأزرق، هبط ذات أعجوبة وعانق الأرض ولم يغادرها، يالها من رحلة في متاهة زرقتين: البحر والسماء»[2]، جاء وصفها للبحر كما هو معتاد منظر البحر وهدوئه، سحر مطلق وجمال آخذ فها هي جماليات البحر ترسمها لنا الكاتبة في صورة مبدعة على صفحته فاستعملت في ذلك جملة من الصور البيانية (ظل السماء الأزرق...عانق الأرض).

(1) لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 190.

(2) المرجع نفسه. ص: 44.

لتكمل رحلتها إلى مدينة اسطنبول فتصف لنا بحرها قائلة: «البحر أو البوسفور أو المضيق يغوين ذات مساء: أنا وصديقتي وطفلتها... البوسفور يسرق بعض ماء البحر الأسود ويهبه لبحر مرمرة الذي يتزواج مائه المتوسط...»[1].

وصفت لنا السّاردة هذا المكان وصفًا تأثريّا، قائما على الخيال باستعمال صور بيانية (يسرق بعض ماء البحر الأسود ويهبه لبحر مرمرة).

د–النهر:

فضاء النّهر هو فضاء ذو دلالات متنوعة، تعكس في ظاهرها قيود الفضاءات المغلقة، وقد جاء وصف النهر في هاته الرّحلة بدلالة الهدوء والصفاء وهو ما ينعكس على شخصية الكاتبة والتي يسوق عليها بالاطمئنان وصفاء الذّهن والراحة النفسية وهذا ليس بالغريب، فالكاتبة هي بنت الفرات ودجلة، وتصفه هذا الأخير فتقول: «نزهة في نهر النيل—نهر السماحة والفيض–تأخذني إلى دجلة رائحة النهر والطّمي ذاتها وأشجار الشاطئ والسمك المتقافز باستثناء البيوت العائمة تلك العوامات الطافية كوعود كاذبة بالفراديس...»[2].

رغم قدرة الكاتبة على أن تعطي صورة مباشرة تصف فيها نهر بلادها، ورغم معرفتها به، إلا أنها فضّلت لأن تعكس صورته على نهر النيل لمكانة هذا النهر، وهذا من أجل إعطاء صورة وشحنة ما للقارئ عن ثراء نهر دجلة، فالكاتبة ذات ثقافة نهرية تتلاعب بوصفها بطريقة شعريّة.

---

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 248.

[2] المرجع نفسه. ص: 62.

إن النهر في رحلة" مدني وأهوائي" سيمثل رمزا من رموز الحياة، فهو خير مكان هادئ ومُسَالِمْ متميز بسحره: «وسط مدينة كامبريدج العريقة يتماوج نهر "كام" الرقيق الحنون المحاط بالمروج الخضراء وأنواع الزهور، تمرق فيه القوارب الصغيرة بالمجدافين المتناغمي الحركات...»[1].

2-وصف الفضاء المغلق:

المكان المغلق هو ذلك المكان الذي تحده حدودا معينة من جميع الاتجاهات، كأن تضرب حوله الجدران.

أ-الوصف القطار:

الانغلاق الموجود في القطار يختلف عن الانغلاق الموجود في البيت، إنّ القطار في "رحلة مدني وأهوائي" يمثل المكان الذي تصرف فيه لطفية الدّليمي أغلب أوقاتها، وتعتبره الوسيلة المفضلة التي تعتمد عليها أثناء رحلاتها فقصتها مع القطار بدأت منذ طفولتها، وهذا ما يؤكده المقطع الآتي: «أحب القطارات وأهابها، صافرة واثنتان وأستعيدُ تلك الضجة التي ارتبطت بأول رحلات الطفولة بين بعقوبة وبغداد، رحلات سحريّة كانت بدرة عشقي للترحل...صغيرة كنت بالكاد أستطيع قراءة اللافتات وأسماء المحطات...أدوخ قليلا في القطار، تقشر أمي برتقالة وتطعمني فصوصها»[2].

تعزر الإشارة هنا إلى اكتشاف أول سفر لها عبر القطار من العقوبة إلى بغداد، وهي بالكاد تقرأ الحرف ورائحة البرتقال التي اعتادت والدتها تقشره لها كطقس علاجي لوعكة السّفر، ويتميّز وصفها هنا بكونه وصفا ذاتيا.

---

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 111.

[2] المرجع نفسه. ص: 27.

وتبرز في مثال آخر علاقة المكان والذي هو القطار بشخصيتها، فرغم حبها للسفر إلاّ أنها كانت أحيانا تشعر بالوحدة والحنين فتقول: «جربت أنواع القطارات وأنا وحيدة مستوحشة وقد غادرني فضول الطفولة ووجدتني رهن حاضر مخيف يتكثف فيه إحساس مريع بتبدد الأمكنة والناس والذكريات»[1].

نلاحظ أن السّاردة هنا اعتبرت القطار مكانا موحشا، جراء الوحدة التي تعيشها أثناء ترحالها، فلقد تغير شعورها ما بين الطفولة والنّضج، حيث استخدمت أساليب لغوية لتثري بها وصفها مثل: وحيدة مستوحشة، رهن حاضر مخيف، إحساس مريع، القارئ عند قراءته للوهلة الأولى يظن أنها لا تحب السفر فيه.

وفي موضع أخر تستمر في وصف تجربتها داخل القطار: «عندما كبرتُ لم أستطع الكتابة في القطارات، لم أمسك كتابا لأنهمك فيه: كنت أقرأ البشر، أقرأ كتاب الطبيعة، أتصفح الغابات والأنهار والسفوح، أقرأ الحقول والقرى وأشجار الجوز»[2].

الكاتبة هنا جنحت إلى الذاتية وابتعدت قليلا عن الموضوعيّة، فلقد تحدّثت هنا عن تجربتها داخل القطار عند كبرها، فعبرت عن ذلك من خلال الصور البيانية التي ذكرتها (أتصفح الغابات، أقرأ كتاب الطبيعة، أقرأ الحقول)، والملاحظ هنا أن الكاتبة تختلف عن الكتاب التقليديين، كما صرفت أنتباهها إلى كل ما تراه عيناها وتستمتع به.

ب–البيت:

يعتبر البيت أو المنزل من الأماكن التي تحظى بتكوين علاقة من الألفة، ومن ذلك ما جاء في وصف "لطفية الدّليمي" في رحلتها، زارت العديد من البلدان وتعرفت على الكثير من الأماكن التي أعطتها وصفا دقيقا نتيجة لما

(1) لطيفة الدّليمي، مني وأهوائي. ص:28.

(2) المرجع نفسه. ص:33.

لفت انتباهها وعلق في ذاكرتها، فمثلا في وصفها للبيوت التي قطنت بها أعطت وصفًا دقيقًا ففي زيارتها إلى "مانشيستر" تصف لنا بالتفصيل مكان إقامتها فتقول: «أستأجرنا غرفة في منزل سيدة ايرلندية (في منطقة وايت تشابل) قرب محطة القطار: منطقة ضواحي أقرب إلى الريف منها للمدينة، كان البيت رائعا أشبه بمعبد للموسيقى ثمة نباتات البنفسج الإفريقي المزهرة على حافات النوافذ تداعب ستائر الدانتيل»[1].

وصفت الكاتبة مكان إقامتها وصفًا داخليًا ووصفًا خارجيًا، وشخصت المكان ووضحت معالمه وحدوده، حتى يتهيأ لنا وكأننا نراه، ووصفها هنا يدل على جمال البيت، دليلاً على شعورها بالسكون والراحة داخله.

تستمر في وصفها للبيت لكن هاته المرة كان مختلفا فهي لم تصف مكان إقامتها بل وصفت منازل أهم الأدباء والفنانين في باريس وكيف أن منازلهم تختلف حسب طبقاهم المادية، فتقول في وصف بيت الروائي "بالزاك": «صغير متواضع بثلاث طوابق، تصدر سلالمه الخشبية صريرًا معلنْ ويكسو أرضيته سجاد رثٌ»[2] وبعدها مباشرة تقدم لنا وصف لبيت "فيكتور هوغو" الفخم فتقول: «أثاثه المبهر ولوحاته الثمينة وستائره المخملية الثقيلة وسجاده الموسوم برموز النبالة والثراء حتى لا يبدو منزل "بالزاك" ثراءه – أشبه بكوخ فقير-»[3].

قدمت الكاتبة صورة فنية للقارئ مقارنة فيها بين منزل "بالزاك" و"هوجو" فبوصفها لهما، حاولت أن تبين بأن ليس جميع الأدباء من نفس الطبقة الاجتماعية، باستعمال أسلوب ولغة بسيطة بعيدة عن التعقيد، تجعل من القارئ يصور ما يراه في مخيلته بسهولة.

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي. ص:114.

[2] المرجع نفسه. ص:184.

[3] المرجع نفسه. ص:184.

ج–المتحف:

المتحف هو مقر دائم من أجل خدمة المجتمع يقوم بجمع، وحفظ، وتواصل وعرض التراث الإنساني وتطوره وهذا ما أشارت إليه كاتبتنا خلال رحلتها فتفتح مشهد من المشاهد على زيارتها لمتحف الفن الحديث "لفازاريلي" تقول في هذا: «تفخر مدينة بيتش المجرية بأنها مسقط رأس الفنان العالمي فيكتور فازاريلي...تحولت بعض أحيائها إلى متحف مفتوح في الهواء الطلق لأعمال الفنان، فثمت في المنتزهات والشوارع نُصب سيراميكية، وواجهات عمارات زينة بلوحاته...، متحفه المقام في منزل طفولته، وهو يضم جملة أعماله المبكرة من لوحات ومنحوتات وتخطيطات...»[1].

اهتمت الكاتبة بالتفاصيل الدقيقة، والتفتت إلى مكونات المكان والعناصر الموجودة فيه فنظرًا لشهرة فازاريلي أقيمت له أحياء على شكل متحف مفتوح لأعماله، فنجد في هذه الصورة الوصفية أنها أدخلت القارئ إلى عالم تخيلي موهمة إياه بجمالية المكان.

يتجلى وصف المتحف أيضا في المقطع الآتي: «قصدت متحف أورسي المطل على السين والمقابل لحدائق "التويلري" في الضفة الأخرى، روت لنا المشرفة التي ترشد الزوار أن مبنى المتحف كان محطة للقطارات...فيه معرض دائم للانطباعيين والفوتوغراف ...إن ترى لوحات "رينوار" الشهيرة" غداد على العشب" ولوحة "فانكوخ" "سماء مرصعة بالنجوم"، أعمال "يوجين ديلا كروا وأعمال كوربيه...»[2].

نجد هنا أن الوصف تفصيلي للمكان من الداخل والخارج، تتقلص فيه الرؤية وتسعى إلى الاقتراب أكثر من واقع المكان ومن أدق تفاصيله، بحيث سعت بهذا الوصف الفوتوغرافي لتقديم تعريف لمكان المتحف، وما يحتويه

---

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 100، 101.

[2] المرجع نفسه. ص: 235.

من أعمال (لوحات "رينوار" الشهيرة، لوحة "فان كوخ")، كما ذكرت الكاتبة أماكن أخرى في الرّحلة منها: المقاهي، القصر، المطاعم.... الخ.

لقد كانت لطفية الدّليمي كغيرها من الرحالة دقيقة الملاحظة، ذات إحساس عالي بالأمكنة، فكانت تصفها وصفا تفصيليا يمتلئ حيوية، تنقلنا خارج حدود الزّمن وترسم لنا صورا للأمكنة التي زارتها، وقد أضفت خصوصية المكان طابعا خاصا على أوصافها فتنوعت بين أوصاف غلبت عليها المشاعر الذاتية.

ثانيا: وصف الشخصيات:

الوصف في الرّحلة يختلف عن الوصف في العمل الروائي، أو أي عمل أدبي آخر، فهو يصف الشخصية وصفا واقعيا، لأن وجودها حقيقي على أرض الواقع وليس من وحي الخيال، حيث يقوم الرحالة بعملية المصور فيصور لنا الشخصية التي رآها أو جالسها فيكشف عنها، ويظهر ماهي عليه، سواء كان ذلك داخلياً أو خارجياً، ليتيح لنا من خلال هذا الوصف التعرف على الشخصية الموصوفة.

1 – وصف الشخصية الرئيسية:

لوصف شخص لابد من توظيف كل مصادر المعرفة، من أجل التعرف على خصوصياته الذاتية وحركاته وعاداته وكل اهتماماته المختلفة حيث: «تصنف الشخصيات داخل السرد وفق تحديدات دقيقة مرتبطة بكيفية بنائها وكذا وظيفتها، ومن ضمنها: الثبات والتغيير التي تتميز بها الشخصيات، إذ تسمح لنا بتوزيع الشخصيات كما يلي: **الشخصيات السكونية**: تظل ثابتة لا تتغير طوال السرد، **الشّخصيات الدّيناميكية**: وهي التي تتميز بالتحولات المفاجئة، التي تطرأ عليها داخل البنية المكانية الواحدة»[1].

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي. ص: 215.

وصفت لطفية الدّليمي الأشخاص ورصدت مختلف خصوصياتهم، فتتبعت حركاتهم وعاداتهم ولم يقتصر وصفها على الجوانب الماديّة بل تعدتها إلى وصف جوانب أخرى، مثل طريقة التفكير والمشاعر والأحاسيس، فجاء وصفها للشّخصية الرئيسية على النحو التالي:

السّاردة هي الشخصية الرئيسية في القصة التي تدور حولها الرّحلة، وظّفت قصص شخصية من حياتها كانت بسيطة وتمثل حادثة عابرة لكنها حقيقية، حدثت مع أفراد حقيقيين، لتعبر عن ذاتها فتقول: «أزور ضريح ابن عربي في حي الصالحية على المرتفع، أهبط إلى حي ركن الدين وأمضي إلى قلب دمشق... توقفت عند بائع زهور» واشتريت لي باقة من زنابق دمشق العطرة، سألني الراحل التكرلي:

– لمن هذه الزهور؟

– لي أنا ....

– هل ثمة مناسبة لشاركك الاحتفاء؟

لا أنا أحتفي بنفسي لأنني راضية عنها وفخورة بها...»[1].

نلاحظ أن الحوار كان عبر صوتها الذي نقل لنا الشهد بالكامل، فتغير السّاردة دفة التركيز، وتنقلها من المدينة(دمشق) إلى نفسها السيدة التي تكافئ نفسها في مشهد متكامل الوصف.... والملاحظ أيضا من خلال هذا الوصف أنها لم تلتفت إلى الجوانب الجسدية والمادية لنفسها، بل تجاوزت إلى الجوانب المعنوية.

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 38.

وفي مثال آخر نجد السّاردة تتحدث عن نفسها قائلة: «أنا التي غرقت صغيرة في جدول بستان ضحل وأوشكت على الموت في الماء، رهبة الماء اللامتناهي تميج مخاوفي»[1]، والملاحظ في هذا المثال أن السّاردة عبرت عن أحد مخاوفها وهو البحر، وهنا ما يجعل القطار وسيلة تنقلها المفضلة.

وتواصل "لطفية الدّليمي" أسلوبها هذا في وصف الشخصيات التي اختارتها بتسليط الضّوء على أفعالها دون صفاتها الجسدية ومن ذلك وصفها لرجل الحلم، وهو بالنسبة لها فارس أحلامها، الذي رافقها من بداية رحلتها إلى نهايتها، فتقول عنه: «فكان أن اختلقت لي رجلا يلائم أهواء صباي المتطل ب: جبلته من غبار النجوم وزهور الصبار التي تتفتح مرة واحدة كل عام، لم أمنحه ملامح مستقرة، فكانت قسماته تتبدل بتغير الهواء، والأفكار والأسفار.... وعندما اكتمل حضوره المتخيل أسكنته أشواقي وصحبته في رحلاتي»[2].

سافرت لطفية لمخيلة القارئ من عالم الواقع إلى عالم الخيال، لتقدم صورة لرجل الحلم الذي لم تجده في الواقع الذي تعيش فيه بأسلوب أنيق، مبتعدة كل البعد عن صفاته الجسدية مكتفية بذكر صفاته المعنوية بما يناسب ذاتها.

سافرت بمخيلة القارئ من عالم الواقع إلى عالم الخيال، لتقدم صورة لرجل الحلم لبذي لم تجده في الواقع الذي تعيش فيه بأسلوب أنيق، مبتعدة كل ابعد عن صفاته الجسدية مكتفية بذكر صفاته المعنوية بما يناسب ذاتها.

لتسافر بمخيلتها مرة أخرى مع رجل أحلامها فتقول عنه: «في شرفة فندق "أبولونيا بيتش"، يستوي كأس الشاي وهدير البحر وتذوب حواسي في فقاعة شذا الزّمن يتآكل بين موجة وأخرى وأنا أوازن، فرار الزّمن مني

(1) لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 44.
(2) المرجع نفسه. ص:21.

بحب شاسع لرجل متخيل...، وجهه يتراءى في حرير الغياب: وعيناي تقتصان النجمة الوحيدة التي تمشط أحزاني وتعلق رماد الحروب على شفتي»[1]

أسلوب غير مباشر وبلغة شاعرية، عبرت لطفية الدّليمي عن الآخر الذي تريده في رجل الحلم ورغبتها في أن يتجسد لها في أرض الواقع، تاركة لنا عبارات دالة (وجهه يتراءى في حرير الغياب).

وعلى العموم ما يمكن ملاحظته على وصف "لطفية الدّليمي لنفسها ولرجل أحلامها، أنها ركزت على الجوانب المعنوية للشخصية، فهذه الكاتبة تلتقي مع السيرة الذاتية، في تلبيتها لطرائق التعبير الذاتية، ومن خلالها يتيقن القارئ لأن هذه الأحداث والمشاهد تخص الكاتب بالفعل.

2-وصف الشخصيات الثانوية:

تزخر هذه الرحلات بالكثير من اللقاءات الأدبية والفنية إذ تتحدث السّاردة عن شخصيات مشهورة ومعروفة التقتها خلال تجوالها في البلدان، ويدور مثل هذا الوصف عبر علاقتها بالشخصية، التي تريد وصفها، كما يمكن أن نجد شخصيات أليفة ومحبوبة وأخرى قلقة ومكروهة.

أي أن هذه الشخصيات تقع تحت توصيفات ذاتية مثلا تقول: «استقبلتنا صديقتنا ماريان زوجة صديقنا العراقي في ميناء الإسكندرية، كان لابد أن نرتاح بعض الوقت في منزل أهلها.... عائلة ماريان عائلة كوسموبوليتانية حقيقية: والدتها مسيحية لبنانية مارونية والدها مسلم إسكندراني شافعي، ماريان اللطفية جمعت أفضل ما لدى والديها من سجايا ولطف ومرح وتسامح»[2].

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي. ص: 163

[2] المرجع نفسه. ص: 47-48.

والملاحظ هنا أن السّاردة خلال وصفها لهذه السيدة(ماريان) يخضع لانطباع ذاتي جواني، وليس وصفا خارجيا موضوعيّا أي أنه انطباع الكاتبة عنها وتصنيفها ضمن الشخصيات الأليفة والمحبوبة، المشاركة في الحدث.

وتقول في موضع آخر: «بينما كان سعد الدين وهبة يختلس النظر إلينا بنوع من الاستعراض الذكوري البائس غير آبه لوجود زوجته السيدة سميحة معه»[1].

نلاحظ أن السّاردة دونت هذه الملاحظة عن سعد الدين وهبة، وقيمته حسب نظرتها الشخصية له، حيث أبرزت صفة من صفاته الغير محبوبة، والتي تمثلت في نظرته الغير مؤدبة، وتعتبر هذه الشخصية من الشخصيات المشاركة في الحدث.

كما أنها من خلال هذه الرّحلة جعلت هامشا ثقافيا، تتحدث فيه عن بعض العلماء أو الكتاب الذين ينتمون للمنطقة التي تزورها، لم يكن حديثها عموميا، وعائما إنما أيضا لما يتفق مع معرفتها واطلاعها، أي يقع ضمن ثقافتها، فمثلا منذ زيارتها للإسكندرية لفتت انتباهها قصة" هيباتيا" فتقول عنها: «هيباتيا أول فيلسوفة وفلكية وعالمة رياضيات وهي ابنة الفيلسوف "ثيون" عاشت في القرن الرابع ميلادي.... كانت هيباتيا تراقب الكون والأجرام السماوية وتتساءل عن طبيعة الكون والوجود .... »[2].

استمرت السّاردة في تقديم الوصف المعنوي على غرار الوصف المادي أو الجسدي فوصفت «هيباتيا" ونسبتها في صورة سريعة قربتها لذهن القارئ، كون هيباتيا "عالمة فلك"...وهي تدخل ضمن قائمة الشخصيات ذات الطابع التاريخي.

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي. ص: 51.

[2] المرجع نفسه. ص: 53-54.

وفي رحلتنا إلى دمشق زارت بيت الشاعر "عزمي مورة لي" فراحت تصفه قائلة: «عزمي مورة لي السوري ذو الجذور التركية المنتسب إلى القسطنطينية مهووس بالفلسفة والموسيقى ومنه استوحيت شخصية "فخري توركلي" بطل قصتي "موسيقى صوفية...."»[1] وصفت لطفية عزمي على أنه الشاعر المرح المهووس بالعلم ذو الأصول التركية، وهذا الأديب يدخل ضمن الشّخصيات المشاركة في الحدث.

وفي رحلتها لإيران تقول عن «فريد الدين العطار" قرأت فريد الدين العطار النيسابوري في وقت مبكر كانت طبعة الكتاب مربكة، أنفلشت أوراقها بين يدي وأرهقتني قراءة صفحتها ذات الطباعة الحجرية...»[2].

نرى من خلال هذا الوصف ثقافة الكاتبة وتنوع قراءاتها رغم أن كتاب فريد الدين العطار لم يكن في حالته الجيدة، فقد كان على طبيعته القديمة، وهذا يتفق مع معرفتها واطلاعها، ويعد أيضا من الشخصيات المشاركة في أحداث الرّحلة.

تناقش لطفية الدّليمي: ثقافتها الذاتية من خلال وجهة نظرها كقارئة وتستحضره مرة أخرى من خلال وحي المكان وخياله وتصف شخصياتها بما تجده مناسبا مثلما تذكر في قولها عن ابن سينا: "خيّل إلي أنني أسمع ابن سينا يتحدث وتلاميذه يصغون مبهورين إلى حديثه عن النفس...وإخفاقاتها بين علو وانحدار ويقرأ عليهم عينته الشهيرة.... وأنا في ذهولي واستمتاعي بسماع محاضرة ابن سينا أفقت على نداء صديقتي وتدعوني لأكون معهم في الصورة أمام الضريح»[3].

والملاحظ هنا أن وصف السّاردة اعتمد على الخيال، نتيجة لحبها للاطلاع والمعرفة ورغبتها الشّديدة للتعرف على ابن سينا وأعماله فسرحت بخيالها وكأنها تستمتع إلى أحد محاضراته.

---

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 39.

[2] المرجع نفسه. ص: 68.

[3] المرجع نفسه. ص: 79.

ومع استمرار هذه الإلتقاطات الثقافية نجد الكاتبة تتحدث عن نجيب محفوظ وحاراته وعبق الأمكنة التي رسمها في مخيلتنا، وفي ألمانيا سيكون الحديث وافيا عن غوتة، فتقول: «تفوح عطور، معشوقات غوتة العديدات وصورهن المجسدة في لوحات زيتية.... تتماوج ظلال المعشوقات وهي تهيم بين الغرف، وتصحح مسار الزّمن في الساعات المهملة على الأرفف، صورته الزيتية تبوح بأشواقها وجموح القلب وتوقه للحبيبات المتغنجات»[1].

تعطي السّاردة هنا صورة للأديب "غوتة" على أنه الشخصية العاشقة في جنس النساء، على الرغم من مكانته المرموقة في مجال عمله، وهو يصنف من الأدباء ذات الطابع التاريخي.

وجملة القول إن وصف لطفية للأشخاص قد سلك طريقا واحدا عنوانه التركيز على الجوانب المعنوية والأخلاقية دون التفاتها إلى جوانبهم الجسدية والمادية وقد تميزت بتدرجها في الوصف وتقديم المعلومات عن الموصوف بتقريب صورته شيئا فشيئاً.

ثالثا: حدود العلاقة بين الوصف والسرد

يعتبر الوصف مكونا أساسيا في الخطابي الرحلي عموما، ويحظر السرد إلى جانب الوصف بطريقة تناوبية تجعل كل منهما مكملا للآخر: «لأن وجود وصف خالص دون سرد قد يبعث الملل في نفس المتلقي، لأن النص سيصبح في هذه الحالة مجرد لوحات متراصة تعرض مشاهد متتالية ومختلفة، اما السرد فلا يمكنه على الإطلاق التخلي عن الوصف لأنه يعد مساعدا رئيسيا له، وبذلك يستحيل وجود سرد دون وصف، أما الوصف قد يستغني عن السرد» [2].

[1] لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص: 157.

[2] فوزية قفصي: شعرية الوصف في أدب الرحلة–رحلة ابن بطوطة – أنموذجا. ص: 160.

في رحلة "لطفية الدّليمي"، رغم الحضور البارز للوصف على طول صفحاتها، فالسرد فيها يبقى مهيمنا لكنه في الحقيقة لا يخرج عن إطار الوصف ويمكن توضيح العلاقة بينهما على النحو التالي:

1-الوصف من خلال الفعل

أ-وصف الشخصية من خلال أفعالها

ويقتصر ذلك من خلال الأفعال التي تقوم بها الشخصية «بدل التقدم المباشر للصفات المميزة بهذه الشخصية»[1] .

وبذلك يمكن اعتباره وصفا غير مباشر لها، وهي العملية التي اعتمدتها "لطفية الدليمي" في رحلتها، حيث لا نجدها تعمد – إلا قليلا – إلى وصفها شخصياتها بتقديم صفاتها بطريقة مباشرة.

وقد وصفت الكاتبة الشخصيات التي شدت انتباهها بأفعالها عن غيرها، ومثال ذلك وصفها للنساء الدمشقيات قائلة: «سيدات دمشق من أجمل نساء العالم، لم أرى نساء أجمل منهن حضورا وفتنة، أنوثة وثقافة سيدات دمشقيات حاكمات بأمرهن في البيت والمجتمع، تشعرك المرأة الشامية بجوهر الحرية وهي تتحدث عن الحب والأدب والتاريخ والغد والعائلة وأطباق الطعام أيضا»[2].

تصف هنا السّاردة سيدات دمشق، موظفة أفعالاً أعطت وصفها حيوية وفعالية من مثل: حضورًا حاكمات، تشعرك، لتصف لنا أخلاق وجمال نساء دمشق، وهذا دليل على احتفاء لطفية الدّليمي بثقافتهم.

---

[1] فوزية قفصي: شعرية الوصف في أدب الرحلة-رحلة ابن بطوطة – أنمودجا. ص: 160.

[2] لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص:38.

كما لفت انتباهها أيضا أخلاق عائلة ماريان زوجة صديقهم العراقي، وطباعهم والتي تركت في داخلها أثرا جميلا، فنهالت عليهم بوابل من الأوصاف الحسنة قائلة: «عائلة ماريان عائلة كوسموبوليتانية حقيقية: والدتها مسيحية لبنانية مارونية والدها مسلم إسكندراني شافعي، ماريان اللطفية جمعت أفضل ما لدى والديها من سجايا ولطف ومرح وتسامح، زوجها عراقي لبرالي من بابل، شقيقها يوسف الأنيق المتطرف موظف البنك متزوج من صوفي الجميلة الرقيقة وهي يهودية من أصل إسباني وإيطالي»[1].

وصف لطفية هذه المرة نابع من إحساس بالغربة في بلد تفاجأت بسلوك أهله، فرغم اختلاف ديانتها، إلا أنها وجدت بينهم خلطة إنسانية أثارت إعجابها بسبب معاملتهم، فترجمت ذلك في وصفها هذا موظفة أفعالا تميزت بالحيوية والرقة، منها ما جاء مثبتا مثل: لطف، سجايا، تسامح، جمَعَت، موظف.

حيث عمدت إلى إثبات الصفات الحسنة بأفعال مثبتة تدل على الجود والكرم والتواضع...، وقد قامت هذه الأفعال بالدور الذي كانت ستقوم به تلك الأسماء والصفات، وزادت على وصفها بلاغة وجمالا، وأعطتها استمرارية وحركية، لتقدم لنا صورة شاملة، عن طباع وأخلاق عائلة مختلفة الديانات، رغم أنها أغرقت في الذاتية.

لقد اعتمدت لطفية الدّليمي في كثير من الأحيان على وصف الشّخصيات من خلال أفعالها، وكان دافعها إلى ذلك تقديرا وإعجابا تقول في وصف الآنسات الإسبانيات: «تتباهى الحياة هنا بغنج أنثى وعزف رجل على غيتاره أو بعناق عاشقين تحت ظل شجرة وارفة...، المرأة الإسبانية مدمنة قراءة فالعشرات من النساء، في المترو والحافلات يستغرقن في كتبهن: الجميع مأخوذون بملذات الأدب»[2].

---

[1] لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص: 48.

[2] المرجع نفسه. ص: 124.

ورغم قصر هذا الوصف إلا أنه يصور لنا مشهد حركي حيوي يدل على ثقافة المرأة الإسبانية وذلك من خلال توظيفها أفعالا تدل على الوعي والثقافة لهؤلاء السيدات، وكذلك فعلت لطفية في مواضع أخرى من الرّحلة أثناء وصفها للشّخصيات فيما نطلق عليه «حركة سرديّة واصفة".

ب–الوصف الديناميكي لشيء: يكون من خلال إعطاء الوصف حركة وحيوية، وتتم هذه العملية بطريقتين:

1–أنسنة الأشياء:

تتم بمنح الأشياء صفات خاصة بالإنسان حيث: «تصبح للأشياء أوصافا إنسانية فتتحول من طبيعتها الجامدة إلى كائن متحرك، إن لم يكن إنساناً فهو شبيه بالإنسان ويوصف هذا الشيء بأوصاف من باب المجاز له الحقيقة[1]».

إذ يلجأ في الوصف إلى أساليب بلاغية مثل الكتابة والاستعارة والتشبيه، يضفي صبغة إنسانية على موضوعه.

وفي رحلة مدني وأهوائي نجد هذا الأسلوب من الوصف، وقد عمدت الرحالة إلى توظيف أنواع الكنايات والاستعارات والتشبيهات....في وصف الأشياء والأماكن، وذلك بقصد إضفاء الحيوية والحركة على موصوفاته وإبعاد الملل، ولعب الخيال لعبته في إثارة تشويق القارئ ومشاركة الرّحلة أحاسيسها المختلفة الناتجة عن تفاعلها مع الأشياء والأماكن، تقول في وصفها "لريف ستراتفود أبون آفون": «الريف هاهنا منتفح ومضيء، يكلله ضباب

[1] فوزية قفصي: شعرية الوصف في أدب الرّحلة العربي القديم، ابن بطوطة أنموذجا. ص: 161.

رقيق أشبه بفستان موسلين أبيض لعروس لا مرئية، ثمة في المروج أبقار مبقعة وبوابات مزارع موصدة وظلال سَخِية تحتضن الطرقات»[1].

لقد تعددت الموصوفات في النّص السابق، فنجدها تصف لنا الريف، بصفات إنسانية لا يفعلها ...البشر فأظهرت لنا الريف بعدّة تشبيهات، شبهته بقمر يضيء وأظهرت الضباب فيه بمظهر العروس بفستان أبيض، فقد كان للخيال دور بارز في الوصف السابق، إذ عمدت الرحالة إلى الاستعانة بالاستعارة مرة وبالتشبيه مرة أخرى لتصوّر لنا مدى إعجابها به بكل ما تحمله من مشاعر وسرور، وقد استعملت السّاردة، العروس، باعتبارها النموذج الإنساني الأعلى للحسن والجمال والتميز والشباب والحركة وغيرها من الصفات.

حيث تقول في مدينة "زيوريخ": «زيورخ تماثل سيدة ذات خيلاء ملكية، تلمس فضولك بأنامل من ذهب وفن، هي المدينة الانثى بامتياز فتنتها ودفق الحياة فيها.... مدينة تغويك بدفقها الثقافي ومفاجآتها الساحرة، من لحظة الوصول إلى محطتها العريقة تبدأ آيات الفن الحداثي وما بعد الحداثي محاورة فضولك»[2].

إن أنسنة هذا المكان منحته صفات إنسانية حيث جعلته يقوم بأفعال إنسانية حولته من طبيعته الساكنة إلى كائن متحرك، يتفاعل مع الآخرين ويبرز ذلك من خلال الصور التي قدمتها الكاتبة (الأنثى، فتنتها، تغويك، الساحرة....) وهي صور يتم رصدها أثناء ممارسة فعل السرد، حيث عبرت عن مدينة زيوريخ من خلال الصفات الجمالية التي تكمن في المرأة الحسناء الفاتنة.

---

(1) لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص: 108.

(2) المرجع نفسه. ص: 245.

2-تشكيل شيء:

يعتبر هذا النمط من الوصف «الطريقة الوحيدة التي يتم فيها الوصف دون قطع صيرورة المحكي»[1].

هناك من يعتبر هذا النمط وصفاً مسرداً أو نوعًا من الوصف المحكي: «وعلى العموم فمع أن هذا النمط من الوصف يضم نوعا من التطور الزّمني إلا أنه لا يكمن بأي شكل من الأشكال أن يتحول هذا الوصف للأفعال إلى متتالية سردية»[2].

وفي لرحلة مدني وأهوائي نجد أن الكاتبة قد استعملت هذا النمط وذلك في قولها: «من كيس ورقي حفظته في حقيبة يدي أخرجت براعم الشاي الصغيرة التي قطفتها من حقل الشاي الذي مررنا به، أسخّن الإبريق الخزفي، ثم أضع البراعم والماء المغلي وحبات الهيل، تتفتح البراعم كنجوم غامضة في الإبريق وتمازج النور بالشذى ولدغ المرارة برحيق الآلهة...»[3].

حيث وصفت السّاردة طريقة صنع الشاي خطوة بخطوة مراعية الترتيب المكاني والزماني للعملية التي قامت بها من بدايتها إلى نهايتها مركزة على كل تفاصيلها وجزئياتها لتبدوا أمامنا كأنها بث مباشر(حي).

وفي مجمل القول نلاحظ أن الوصف الديناميكي للأشياء في هذه الرّحلة أعطى بعدا حيويا، تمثل في إضفاء نوعا من النشاط والحركة على أوصافها، وساهم إلى حد بعيد في التخلص من الملل الناتج عن كثرة الأوصاف في الرّحلة.

---

(1) فوزية قفصي، شعرية الوصف في أدب الرّحلة، رحلة ابن بطوطة أنموذجا. ص: 161.

(2) . لطفية الدّليمي، مدني وأهوائي. ص:91 -92.

2-وصف الفعل:

ويتم بالتركيز على الفعل في حد ذاته على النحو التالي:

أ -وصف وضعية أو حالة: ويختلف عن الوصف العادي، فيظهر وكأنه لوحة فنية حافلة بالألوان أو مشهدا تمثيليا يفيض بالحركة والعاطفة، ويختلف «عن الحكي من حيث الفعل الموظف فيه والذي لا يفيد لا البداية ولا الوسط ولا النهاية، وكأنه نوع من التوقف الصوري، فهو عبارة عن ربط للأفعال ضمن ترابط زمني لأن الزّمن متوقف»[1].

وهذا النوع من الوصف من الوصف كثير الحضور في المسرودات الحديثة، لنمثل له بعض المشاهدات التي وصفتها لطفية الدّليمي في رحلتها، حيث أولت عناية خاصة واهتمت بتصوير تفاعلها مع الأشياء و الأدوات من خلال وصف ردت فعلها اتجاههم، ولنقرأ مثلا وصفها مشهدا لرقصها مع رجل الحلم قائلة: «ذات رؤيا قرأ لي رجل الحلم قصائد لوركا، وأسمعني غناء الغجر ، ورقصت الفلامنكو مع الغجريات الناريات، ضربت الأرض بكعبي ورفعت أطراف ثوبي المكشكش ولوحت بمروحتي المخرمة، كان يضبط لي الإيقاع بتصفيقه المرح، ويردد الكلمات كمغن غجري، فتطايرت حولنا عصافير الحب وتناثرت زهور الجهنميات وامتلأ الجو بضباب عطري»[2] .

إن الكاتبة في تصويرها لهذا الحلم إنما كانت تصف الأفعال التي شكلته، فقد وصفت فرحها وطريقة أو فعل رقصها وهي تضرب بكعبها على الأرض، وتلوح بمروحتها، ثم وصفت الحالة التي عاشتها هي ورجل الحلم، كما استعملت أفعالا تدل على السعادة مثل: رقصت، لوحت، رفعت، تناثرت، تطايرت وهي أفعال كلها حركية وحيوية، أضفت على المشهد بهجة وفرحة.

---

(1) فوزية قفصي: شعرية الوصف في أدب الرّحلة، رحلة ابن بطوطة أنموذجا. ص: 161.

(2) لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص: 120 ،121.

وفي مشهد آخر تتداخل فيه المشاعر في وقت واحد لترسم لنا لوحة متعددة الألوان تصف لطفية حقل الشاي في اللامكان عند الغجر، فتقول: «تقترح يوتوبيا تشاركية مضادة ليوتوبيا أفلاطون والفرابي وتوماس مور،.....فتحتفي بالموسيقى والضحك ورقصات الغجريات شبيهات اللهب وهن يتألقن وسط اخضرار الغابة وهمهمات الطبيعة نمضي سهرتنا معهم وهم يحتسون أشربتهم القوية وترياقات اليقظة ونشاركهم رقصهم الحر اللامسمى ونردد أغاني عشقهم ولوعتهم العتيقة»[1].

فتصور لنا في هذا المشهد حفل الشاي، وتصور لهذا الاحتفال الأفعال التي شكلته، فقد وصفت فعل الرقص والنساء الغجريات فقالت أنهن يتألقن وسط اخضرار الغابة وهم يحتسون ترياقات اليقظة، كما استعملت أفعال تدل على الاحتفال مثل: رقصات، يتألقن، يحتسون...وتشير هذه الأفعال إلى الأحداث نفسها التي وقعت في اللحظة الواحدة، وكأن الزّمن قد توقف أو كأن الأحداث صارت تتشكل خارج حدود الزّمن».

ب–وصف الحركة:

يكون هذا النمط من الوصف على شكل «مقطع أو متتالية سردية من الحركات الزّمنية المنظمة، وهنا قد يتعلق الأمر بمتتالية تعاقدية، وفي كل الحالات يخضع تنظيم الوصف للمبدأ التالي: إن أي حدث إجمال يقسم إلى أحداث صغيرة متتابعة»[2].

ويظهر هذا النمط في الرّحلة متجليا في القول التالي: «نلتقي مصادفة أو على موعد مع بعضهم في مقهى AUX FOLEIS أوفلي مقهى المجانين، نحتسي قهوة الأسبرسيو القوية أو كوكتيل الخروع...نتدفأ به في جلستنا

(1) لطفية الدليمي: مدني وأهوائي. ص: 94.

(2) فوزية قفصي: شعرية الوصف في أدب الرّحلة، رحلة ابن بطوطة أنموذجا. ص: 162.

على الرصيف تحت المظلات أو بدونها تلتقي دعابات المطر، ولسع الرياح الباردة....»[1]

تصف "لطفية الدّليمي" في هذا المقطع حركة السير التي حدثت في مقهى المجانين، والحدث الإجمالي فيه هو ذهابهم إلى تلك المقهى واحتسائهم للقهوة، ولقد عبرت عن ذلك من خلال الأفعال التالية: نلتقي، نحتسي نتدفأ، نتلقى.

لتبدأ سلسلة الأحداث الصغيرة المتتالية الأخرى وذلك في قولها: «انشغل رفاق السفر بتفحص خرائط الطرق السريعة للوصول إلى كرمنشاه، وهم في غفلة عما أنا فيه من تخيلات الفراديس الروحانية التي لُذت بها وغادرت زمنهم التقويمي، لأرتحل في الأزمنة مع رجل الحلم، وغدوت الغريبة المرتحلة وحدها في مجاهل بلاد فارس...»[2].

وصفت لطفية الدّليمي حركة سير الرّحلة هنا ممزوجة مع الخيال (رجل الحلم)، على شكل متتالية سردية مشكلة من حركات زمنية، ولقد تجسدت الحركة هنا من خلال الأفعال التالية: غادرت، أرتحل، غدوت.

وعلى العموم فإن السرد في رحلة "لطفية الدّليمي" يحمل دلالات وصفية تعبر عن طبيعة الحركات التي تزخر بها الرّحلة، وهو إلى جانب الوصف يتظافران في تشكيلة واحدة، كما أن تظافرهما أعطى الحياة لأماكن جامدة والأشياء ساكنة.

[1] لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي. ص: 188.

[2] المرجع نفسه. ص: 73، 74.

رابعا –لغة الوصف

تعتبر اللغّة أداة من أدوات المعرفة، ومن أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد مجتمعه في جميع الميادين وبدون اللغّة يتعذر نشاط الإنسان، واللغّة في تعريفها الاصطلاحي حسب سابير: «وسيلة إنسانية محضة لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الإشارات المقصودة. كما يصفها بأنّها وسيلة للاتصال ذات عناصر مركبة نحويا ومنتجة صوتيا لتبادل رسائل مفيدة بين المتكلمين.» [1]

فاللغّة ترتبط ارتباطا وثيقا بأفكار الإنسان، «وهناك نوعان من اللغّة، اللغّة المحكية وهي اللغّة الدارجة بين النّاس يستعملونها في مخاطبتهم اليومية، أمّا اللغّة الأدبية وهي التّي تسير وفق قوانين اللغّة بصرفها ونحوها... والضرب الآخر من اللغّة وهي اللغّة الشّعرية التّي تحتاج إلى متمرس يجيد صياغة الجمل ونظمها، خارجا عن المألوف والمعتاد وهو ما يعرف "بالانزياح" كلما كان الكاتب أكثر استعمالا للجمل المليئة بالاستعارات والتشبيهات وصل بقارئه إلى حد المتعة وبنصه إلى حد راقي»[2]

ومن هنا نستنتج أنّ اللغّة تنقسم إلى قسمين لغة محكية أي الدارجة التّي يستعملها عامة النّاس، ولغة شعرية التّي تستعمل في الكتابات الأدبية (القصة، الرواية، الرسائل...).

ومما جاء في وصف لطفية الدليمي للإسكندرية قولها: «الإسكندرية هي بقايا المدينة الهجينة في نهاية الستينات، الأحياء العتيقة التّي غادرها معظم سكانها من الإيطاليين واليونانيين قد تحولت إلى عالم مختلف تطغى

[1] نقلا عن عبد المجيد الطيب عمر: منزلة اللغّة العربية بين اللغات المعاصرة (دراسة تقابلية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغّة العربية، جامعة أم البواقي، أم درمان الإسلامية، 1431هـ-2010م. ص: 17.

[2] آمنة عبد الجليل، سليمان القواسمة: جماليات الوصف في روايات سليمان القوابعة-رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، جامعة مؤتة. 2014م، ص: 141.

عليه تقاليد الريف في قلب المدينة الكوسموبوليتانية التّي كانت تعتاش على هذا الخليط العجيب من البشر وتقدم لهم تنازلاتها من أجل بقائها وبقائهم»[1]

إنّ وصفها للإسكندرية بهذه اللغّة التقريرية والإخبارية بالدرجة الأولى تعبر عن حالة الإسكندرية بين الماضي والحاضر بالإضافة إلى استعمالها بعض المصطلحات الهجينة مثل: المدينة الكوسموبوليتانية.

أمّا في وصفها لشخصية ليديا تلك الشخصية المغتربة، فهي بقايا من الجالية اليونانية التّي لا تزال تعيش في الإسكندرية (بائعة هوى)، فتقول: «خرجت علينا ليديا وهي في برنس الحمام... استرخت على كرسي شيز لونغ وكشفت عن ساقيها وأشعلت سيجارة وكأنّها تمثل دور غواية... ضحكت ليديا ساخرة وعلقت بمصرية مكسرة شقتنا محترمة مدام... دي أحسن شقة مفروشة في كامب شيراز كلها»[2]

إنّ هذه اللغّة الوصفية التقريرية التّي وصفت بها شخصية "ليديا" تصور لنا الشخصية القوية التّي رغم ابتعادها عن وطنها صنعت لنفسها مكانة داخل مجتمع محافظ، والتّي اكتسبت لغة مصرية مكسرة، ولكن هذا النوع من الشخصيات غير محبوب والملاحظ أيضا إدراج الكاتبة للغة هجينة في وصفها والتّي تمثلت في (كرسي شيزلونغ).

تناثر استعمال الكلمات الهجينة على طول رحلة "لطفية الدليمي"، وهذا يدل على ثقافها وتنوع رصيدها المعرفي ومن أمثلة ذلك (opart، بيش pees، إيرل غري، كامب شيزار، الكوسموبوليتانية، الكاتدرائية، أنتروبولوجي السوبرانو، كاريزما، الكاروسيل، سؤتيات... إلخ)

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي. ص: 51.

[2] المرجع نفسه. ص: 50.

أمّا في وصفها لبلدة أو تربية "قصر شيرين"، فاللغّة التقريرية هي اللغّة الطاغية وهذا يعود إلى طبيعة الموضوع الذّي قدمته إذ تقول: «كانت آثار طريق الحرير الموشومة على الأرض العتيقة تهمس لنا بأساطير العشق... عبر المنعرجات والتلال الخضراء إلى قصر شرين البلدة التّي تحرسها غيضات نخيل، وجبال صخرية صماء، بدت البلدة شبه قلعة للحزانى والمنسيين والدراويش، لم أعرف في حياتي مدينة منسوجة من حزن وآهات العشاق» [1]

ويظهر ذلك جليا من خلال وصفها للقرية والحزن المخيم على أهلها.

تراوح استخدام الساردة في رحلتها مدني وأهوائي الأسلوب الإنشائي الطلبي بين استفهام وتعجب، امر ونداء، ونلاحظ غلبة الجمل الاستفهامية في رحلتها ومن أمثلة هذا «فكيف له أن يقتل معبودته خنقا أو طعنا؟؟»[2]

وهو سؤال طرحته الكاتبة على نفسها عند عجز عاشق هيباتيا بالعهد الذّي قطعه لها بقتلها، وإخلافه بالوعد ليس بالمر الغريب فهي تلك اللحظة كان عاشقها يعيش حالة اللاوعي، فمشاعره كانت هي المتحكمة في الموقف.

إضافة لاستعمالها أسلوب التعجب وذلك في قولها: «لا تكابدوا كل هذا العناد أيها الكتاب، فالسماء تتسع لنا جميعا !!» [3]

فبأسلوبها الذّي يتخلله حيرة توجه رسالة للكاتب، بأنّ سماء الأدب واسع يتسع للجميع.

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي. ص: 69، 70.

[2] المرجع نفسه. ص: 55.

[3] لمرجع نفسه. ص: 220.

يليه النداء في قولها «أيها الجمال الذّي خبت فتنته على ما منت مسرفا.»[1]

بالنسبة للأمر فقد تجلى في القول التالي: «هيا إلى شراب القديسين»[2]

وغرض هذا الحث والترغيب.

تتراوح الأفعال التّي استعملتها الساردة بين الماضي والمضارع ومن الأفعال الدالة على ذلك نجد: جلست تركت، تَضُجُ، يخطب، فتحت، انتظرت، وضعت، تمضي، تتقدم، سافرنا... إلخ.

تعد اللغّة العربية وصفا تزيينيا، وبذلك يعمد الكاتب إلى استخدام المحسنات اللفظية والبديعية ليضفي جمالية على النص مثل الطباق، الجناس، السجع الاستعارات وغيرها ومن أمثلة قولها: «يردد الكلمات كمغني غجري فتطايرت حولنا عصافير الحب وتناثرت زهور الجهنميات»[3] .

فتطايرت ≠ تناثرت وهو طباق إيجاب.

وفي مثال آخر تقول: «نشوة النجاة من موت محقق والتشبث هذه البرهة بسر الحياة، في الجزيرة محاضرات للبصر والسمع والذوق، مثيرات للأحزان والأفراح الموت ≠ الحياة وهو طباق إيجاب، الأحزان ≠ الأفراح»[4]

استخدامها للسجع وهو تشابه أواخر الفواصل يضفي جمالية على النص من خلال الجرس الموسيقي المتحقق بتكرار التاء ومثالها:

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي ص 110.

[2] المرجع نفسه. ص:91.

[3] المرجع نفسه. ص:121.

[4] المرجع نفسه. ص: 160.

«وعلى حين غرة يصر موكب عسكري وتختفي الأميرات المترفعات المبتهجات وتعم الشارع فوضى من الجنود على خيولهم وتتبعهم الدبابات والعجلات»[1]

⟸ الأميرات، المرتفعات، المبتهجات، الدبابات، العجلات.

فيما جاء في وصفها لسماء جزر الكناري فقد استخدمت السجع منحت به للكلام جرسا موسيقيا في قولها: «عندما يرافقننا أو يؤدين أعمالهن بائعات أو ساقيات أو صحفيات في المهرجانات»[2]

⟸ بائعات، ساقيات، صحفياتٌ.

ومن أمثلة اللغّة التزيينية فيما يخص الاستعارات والتشبيهات ما تقوله الساردة: «مررنا بطريق يحاذي غابات أزلية عذراء ملتفة يصعب اختراقها»[3]

⟸ غابة أزلية عذراء وهي استعارة حيث شبهت الغابة بالفتاة العذراء.

واستخدامها التشبيه أيضا في قولها: «يسرد القطار بعضا من قصة الزمان والمكان مثلما يفعل الروائي»[4]

⟸ يسرد القطار بعضا من قصة الزمان والمكان حيث شبهت القطار بالأديب.

وتقول أيضا: «جزر الكناري بلاد فردوسيه تتفوق في سحرها على إمكانات الخيال»[5]

جزر الكناري بلاد فردوسيه، فشبهت جزر الكناري بالجنة وهذا تشبيه بليغ.

---

[1] لطفية الدليمي: مدني وأهوائي: ص 66.

[2] المرجع نفسه. ص: 134.

[3] المرجع نفسه. ص: 87.

[4] المرجع نفسه. ص: 31.

[5] المرجع نفسه. ص: 134

وفي النهاية تستطيع القول أنّ لطفية لجأت إلى لغة تزيينية في شكل مكثف خاصة فيما يخص التشبيهات والاستعارات وذلك لجذب النفس لما فيها من متعة واستحسان.

كما تزخر هذه الرحلة بالعديد من الكلمات والعبارات الدالة على الذوق والمكانة الاجتماعية المرموقة التّي تحظى بها الكاتبة ويتضح ذلك فيما يلي: «اشتريت باقة زهور غلاديوليس وضعتها في شرفة الشاليه الجميل الذّي يبعد نحو مائتي متر عن الشاطئ.»[1]

ومن العبارات الدالة على مكانتها الاجتماعية، اختيارها لأماكن إقامتها ويظهر ذلك في قولها: «أقمنا في مدينة مينز ذات العمارة القوطية والكلاسيكية مع كتاب عرب بينهم الكاتب جمال الغيطاني وزوجته والكاتب محمود الورداني والكاتبة اللبنانية الراحلة مي غصوب صاحبة دار الساقي وغيرهم، فندقنا عتيق الطراز يطل على نهر الماين»[2]

كما نلاحظ أنّ الكاتبة متفتحة على الثقافات الأخرى، فخلال سفرها لبلدان العالم نجدها مندمجة مع عادلت وتقاليد الآخر، ومن المقطوعات الدالة على ذلك: «نمضي سهرتنا معهم وهم يحسنون أشربتهم القوية وترياقات اليقظة»[3]

وفي قول آخر تقول: «كنت في ذهولي وحالة الوجد ونشوة الموسيقى قد تحررت من الزمان والمكان وتخطيت وضعي الإنساني... بكيت لحظتها لفرط إحساسي بحريتي وخروجي من حالتي البشرية المحدودة» [4]

---

[1] لطفية الدليمي: مدني واهوائي. ص: 152.

[2] المرجع نفسه. ص: 152.

[3] المرجع نفسه. ص: 94.

[4] المرجع نفسه. ص: 100.

في موضع آخر تقول: «جلسنا إلى غجرية يتناثر شعرها الأسود المحمر حول وجهها... وهي تدير كرتها البلورية حدقت في وجهي وقالت لي بعد أن وضعت ثلاثة جنيهات في طبقها: سيحبك عاشق يعيش في مدينة بعيدة ... قالت لصديقتي ليلى عاشقك ينتظرك هناك قرب بيتك.»[1]

وفي قطعة أخرى تقول «قالت ليلى المتحفظة دوما أخشى أن...»[2]

هذا ما إن دلّ على شيء يدل على التحرر الفكري والديني والثقافي للرحالة.

أمّا الشيء الأكثر لفتا للانتباه هو أن الساردة لم تكن من محبي الأسواق والمطاعم.... بل صبت جل اهتماماتها في رحلتها بزيارتها للمتاحف، والمكاتب ومنازل الأدباء وقصورهم.

[1] لطفية الدليمي: مدني واهوائي. ص: 115، 116.

[2] المرجع نفسه. ص: 118.

الملحـق

1- التعريف بالكاتبة لطفية الدليمي:

لطفية الدليمي من مواليد بلدة "بهرز" بمحافظة بمنطقة ديالي في السابع من شهر مارس (آذار) عام (1939م) بالعراق، تعتبر من أكبر المدافعات عن حقوق المرأة في العراق، وهي تعيش حاليا في باريس، «حاصلة على "بكالوريوس آداب لغة عربية- جامعة بغداد، أكملت دورة في اللغة الإنجليزية وآدابها في كلية غولد سمث- جامعة لندن-، وعملت في تدريس اللغة العربية سنوات عديدة ومحررة للقصة في مجلة "الطبيعة الأدبية، وسكرتيرة تحرير مجلة" الثقافة الأجنبية العراقيين، ورئيسة تحرير مجلة "هلا" الثقافية الشهيرة التّي صدرت في بغداد عام 2005م».[1]

وهي كاتبة وصحفية ناشطة في الدفاع عن حقوق المرأة، «مبدعة ومتنفردة في الوسطين العراقي والعربي، ولها بصمتها المميزة تستخدم كل مجاساتها للوصول إلى لذة الكتابة ومتعة الكشف، وهذه المبدعة العراقية التّي كانت ملكة حقا في حقلها الإبداعي وبيتها البغدادي الجميل، تعيش اليوم في شتى المدن الأوروبية من باريس إلى بيرن»[2]

كما ترجمت قصصها إلى الإنجليزية والبولونية والرومانية والإيطالية وروايتها "عالم النساء الوحيدات" إلى اللغة الصينية.

أ-أعمالها:

كتب وألفت العديد من القصص والمؤلفات منها:

1- ممر إلى أحزان الرجال (قصص)-بغداد، 1970م.
2- البشارة (قصص) بغداد، 1975م.
3- التمثال (قصص)، بغداد.
4- إذا كنت تحب (قصص)-بغداد، 1980م.
5- عالم النساء الوحيدات (رواية وقصص) -بغداد، 1986م.
6- من يرث الفردوس (رواية)-بغداد، 1989م.

---

[1] عواد علي ويسرى الحنابي: الجديد (لطفية الدليمي عصيان الوصايا): ثقافية عربية، جامعة لندن، العدد 71، ديسمبر كانون الأول، 2020 .ص : 73.

[2] سيد جودة: ندوة، مجلة إلكترونية للشعر المترجم: هونج كونغ. ص: 01.

7- بذور النار(رواية) -بغداد، 1988م.

8- موسيقى صوفية (قصص) بغداد، 2004م.

9- في المغلق والمفتوح-مقالات جمالية.

10-الساعة السبعون (نصوص) بغداد، 200م.

11-ضحكة اليورانيوم (رواية) 2000م.

12-برتقال سمية (قصص) 2002م-بغداد.

13- حديقة الحياة (رواية).

14-رواية سيدات زحل. 2009م.

15-مسرات النساء (قصص) 2015م.

16-إذا كنت تحب (قصص)-2015م.

الأعمال المترجمة إلى الإنجليزية نجد منها:

1- بلاد الثلوج (رواية) بغداد، 1985م.

2- ضوء نهار مشرق (رواية)، بغداد 1989م.

3- شجرة الكاميليا (قصص)، بغداد 2000م.

4- حلم غاية ما-السيرة الذاتية للكاتب-الفيلسوف كولون ويلسون 2015م.

5- رحلتي: تحويل الأحلام إلى أفعال، 2017م.

الأعمال الدرامية نجد منها:

1- مسرحية الليالي السومرية.

2- مسرحية الكرة الحمراء 1997م.

3- مسرحية الشبيه الأخير 1995م.

4- مسرحية قمر أور.

5- مسرحية شبح كلكامش.

6- مسلسل تاريخي عن الحضارة البابلية.

في مجال الدراسات نجد:

1- جدل الأنوثة في الأسطورة لنفي الأنثى من الذاكرة.
2- كتابات في موضوعية المرأة والحرية.
3- دراسات في مشكلات الثقافة العراقية الراهنة.
4- اللغة متن السجال العنيف بين النساء والرجال-لغة للنساء في سومر القديمة.
5- صورة المرأة العربية في الإعلام المعاصر.
6- دراسات في واقع المرأة العراقية خلال العقود السابقة وبعد الاحتلال.

الندوات:

1- ندوة عن تدمير وسرقة المواقع الثقافية والآثار، 2004م.
2- ندوة وسيمينار عن عالم الاجتماع. 2005م.
3- ندوة الثقافات العراقية-المشتركات والخصوصيات-الجمعية العراقية لدعم الثقافة.
4- ندوة عن المنجز الثقافي للمرأة العراقية في القرن العشرين مركز شبعاد لدراسات حرية المرأة-2004م.

ولقد أخذت هذه القائمة من كتاب "مدني وأهوائي" للطفية الدليمي.

ملخص الرحلة

تتجلى فائدة كتاب مدني وأهوائي جولات في مدن العالم الحائز على جائزة ابن بطوطة للرحلة المعاصرة 2016-2017 للروائية والمترجمة العراقية المعروفة (لطفية الدليمي) في كونه إضافة قيمة لما يقدمه من كم معرفي في حقل أدب الرحلات استغرقت الكاتبة سنوات مديدة دأبت فيه على تسجيل أسفارها بلغة تطفو فيها أدبية النص الزاخرة التي استمدتها الكاتبة من تمرسها المبكر بالفن القصصي الذي يمتاز بحضور تعبيري يقطر سردًا ووصفًا وبهاءً في رحلاتها لبلدان العالم شرقا وغربا بتفاصيل، مسجلة فيها المكان ومناخاته، ساحاته، أسواقه، معالمه، متاحفه، و طبيعة البشر الإنسانية من عادات وتقاليد كالمأكل والمشرب والملبس، أعظم أدباءه، أشهر رساميه، ملامح نسائه مع تفاصيل تعتبر في غاية الأهمية لشخصيات معروفة في تاريخ الأدب مما أضاف متعة التقرب من هذه الشخصيات، وكأنهم يمثلون مشاهدة سنيمائية كما أضافت الكاتبة تقنية امتازت بها كتب الرحالة من مداخل لأبيات لشعرية من جنس الرحلة وهذا دليلا واضحًا على سعة. ثقافتها واختيارها الموفقة عند كل بداية لوصف مادة رحلية، فكان لوركا جالسا بأبياته عندما وصلت اسبانيا، وسونتيات شكسبير تعزف على أبواب سترانفورد ابون آفون.

كما هو معروف أن يقوم أدب الرحلة على عنصرين أساسين لا يستغني أحدهما عن الأخر، رحلة واقعية أجادت الكاتبة في نقلها ونص أدبي لا يخلو من الخيال وهنا وجدت حكاية (رجل الحلم) الذي أشارت إليه الكاتبة منذ البداية بأنه رجل بملامح متغيرة يرافقها، تبث إليه بمكنوناتها، يصاحبها، يغني لها، يقرأ قصائد على مسامعها، يراقصها، تبحر معه، وحين تنظر إلى غلاف الكتاب التي تظهر رجل ومرأة في وضعية رقصة، كان الغلاف اختيار غاية في الموفقية على مدى (280) صفحة تبدأها الكاتبة باستذكار سنوات الطفولة وأولها كانت انطلاقتها في القطار الذي أخدها من بعقوبة إلى بغداد وهي بالكاد تقرأ الحروف، ثم جاءت دمشق، أول مدينة تسافر إليها خارج بلادها وآخر مدينة التي لا يمكن نسيانها كما تقول، تلتها رحلة كانت وجهها إلى بيروت، مدينة الآلهة، تلتها الإسكندرية عروس للمتوسط ما أن وصلتها حتى شكلت لنا الكتابة حكاية تأجير شقة بتفاصيل وشخوص بملامح قريبة للممثلين، ثم تأتي (القاهرة) مدينة في قلب مدينة في قلب مدينة أخرى كما تصفها، عدا الزحام الذي مهرب منه، وبينما كانت أحلام الناس تتجه للسفر غربًا وشمالاً نحوا إسطنبول وأوروبا وأمريكا وشمال إفريقيا، إلا أن كاتبتنا اتجهت شرق كرمنشاه (قصر شرين) أيام كانت إيران تحت تاج الإمبراطورية، أجادت في الاسهاب والوصف لطريق كرمنشاه فكيفية العثور على الفنادق التي تشبه الخانات، ووصفها لطاق بستان

ومنحوتاته الأثرية ووجبة الطعام التي تناولوها رفقا الرحلة وتنسيقات المتنزهات المزينة، بالورود والعشاق، حتى وصلت إلى مدينة (همدان) وبحثها عن نصب الفيلسوف، ابن سينا حتى وصلت فردوس ودخلت مبنى مكتبة الفارهة وكنوز المخطوطات المذهبة المحفوظة فيه.

ثم وصلت إلى مدينة الزعفران (طهران) المعروفة بشوارعها الواسعة، وأشجارها الأنيقة، وجمال نسائها ورقة ناسها وسحر أكلها الإيراني، صفحات ممتعة وصفت فيها الكاتبة المدينة وما تشتهر به من أصناف أطعمة في نص بديع مسترسل بعذوبة سرد يشعرك أنك جالس وسط هذه الوليمة المقدمة تشم عطر توابلها وأنت تقرأ السطور، حيث اقترح عليهم أحد النزلاء أن يزوروا قصر حديقة الورود (كلستان) المبنى في القرن السادس عشر في عهد الملك طهماس العقوبي وفيه القاعة العجيبة (قاعة المرايا) وعرش الطاووس الإمبراطوري، وسجادة الذهب والياقوت والزمرد..... فسجلت الكاتبة انطباع لما رأته (كل شيء حولك نفائس لا تقدر بثمن).

ثم يليه البزار الإيراني، أغنى أسواق العالم، يحيلك إلى عوالم ألف ليلة وليلة بمحلات اللؤلؤ والمرجان وصاغة الذهب، بعده كانت الوجهة لتشالوس ذلك المنتج البحري المطل على بحر قزوين، استوقف مركبتهم موكب الشاهبانو فرح والشاه يلوحان من وراء زجاج السيارة الملكية المصفحة للحشود المنتظر على جانبي الطريق يتسلل الهدوء والسكينة.

من الأسطر التي تصف الشاليهات والشاطئ وحدائق الزهور وغابات البلوط المحاذية للشلال المنحدر من جبل يحاذي البحر، أعدت الكاتبة لرفقائها شراب الشاي المعطر ووضعه في ابريق خزفي مع أكواب مزخرفة فكانت المائدة سلطانية بشذى مساء مغولي في هنغاريا، تعرفت إلى مدينة (بودابست) بدأتها بجولات مع صديقتها الهنغارية، لتمضي سهرتها مع بعض الغجر، بقضم شواء لحم الطرائد المسروقة من فخاخ الصيادين، وشرب قهوة عرفاتهم الجليلة، لينفتح المشهد على زيارة متحف الفن الحديث ولوحات الرسام الشهير (فزاريلي)، وهي المولعة بسماع رابسوديات فرانزليست الشهير المعروف بهوس النساء له.

بعدها جاءت زيارة (لندن) ترشيح من المعهد البريطاني لدورة صيفية للتعرف على الأدب الإنجليزي في كلية (غولدسمث) جامعة لندن، كما قامت الكلية بتعريفهم على أهم مواثل الثقافة في بريطانيا، جامعة كامبردج ومدينة ستراتفورد أبون آفون حيث منزل شكسبير ومسرحه الملكي ومبنى "ألبي بي سي" وكنيسة ويستمنسر، تبعتها رحلة إلى مانشستر إيرلندية وزيارة مدينة (بلاكبول) السياحية على بحر إيرلندا، لم ترق لها المدينة ببهرجها السياحي حيث

بحرها رمادي كدر لا يشبه البحار الرحبة الزرقاء. بعدها توجهت إلى كل من جزر الكناري ثم متحف الملكة صوفيا، وقبرص ولارنكا.....

وينتهي الكتاب حين يتهيأ رجل الحلم كأحد الدراويش مأخوذا سحر النادي، تقترب الكاتبة شاخصة بصرها إليه تدنو منه، وتقترب أكثر، يقفز لذهننا مشهد لقائهما معا كأنه لوحة رينوار.

الخـــاتمة

كانت رحلتنا مع "لطفية الدّليمي" مثيرة هي لا نقول أكثر لأن المقام لا يسمح، ولا يسعنا في آخر المطاف إلّا أن نحوصل نتائج هذا البحث الذي لا ندّعي له الكمال بأيّة حال ونفردها فيما يلي:

- للنساء حظ وافر في مجال أدب الرّحلة، وتعتبر كتابة لطفية الدّلمي ومثيلاتها في أدب الرّحلة ذات دور في تغيير الواقع الاجتماعي والثّقافي، وإدماج المرأة في جميع نواحي الحياة، فدخولها مجال الكتابة الرّحلية يعدّ انتصارًا لها في حدّ ذاته.
- إنّ الشّعرية "مصطلح فضفاض"، يعني في مفهومه العام تلك القوانين التي تحكم أي خطاب أدبي وهدفها تشخيص "قوانين الأدبية" في أي خطاب لغوي وهذا ما حاولناه مع رحلتنا هذه.
- يختلف الوصف في الرحلة عن الوصف في أي عمل أدبي فالرّحلة تعنى بالجانب الواقعي المادي أكثر من الجانب الخيالي، وشعرية الوصف عموما لها علاقة بالخيال والتخيّل، أما شعريّة الوصف في الرّحلة فهي مرتبطة أكثر بالجانب التّخييلي للمتلقي، وتكمن براعة الرّحالة في قدرته على التّصوير الفّني للأشياء.
- يبدو على رحلة "لطفية الدّليمي" الحضور القوّي لشخصيتها في بعدها الثّقافي، ممّا أدّى إلى توجهها باتجاهات مختلفة في الوصف، لعدم التزامها أيّ معيار، وبالتّالي لم يقيّد حريتها، فأطلقت عنانها وعواطفها الجياشة وخيالها الجانح.
- وصفت "لطفية الدّليمي" ما شاهدته وعاينته أثناء رحلتها وتنوعت أوصافها بين وصف الأماكن ووصف الأشخاص، واختلفت قيمة الوصف البلاغية باختلاف مكانة الموصوف وأهميّته، ويبدو واضحا سيطرة النزعة الذاتيّة في أوصافها كما يلاحظ اعتمادها على عنصر التصوير الفني، ورسم صورة الموصوف في كل التفاصيل الدّاخلية والخارجيّة لما ساعد في تمثله من طرف المتلقي.
- يحضر السّرد في رحلة "لطفية الدّلمي"، حاملا دلالات وصفيّة تعبّر عن طبيعة الحركات التي تزخر بها الرّحلة وهو إلى جانب الوصف يساهم في تشكيلة واحدة منحت الحياة والحركة للأشياء الجامدة السّاكنة.

- يخضع الوصف في رحلة "لطفية الدّلمي" إلى جملة من العمليات القاعديّة، التي تعطي الجانب الشّكلي بعدا جماليا فتتحقق المتعة والفائدة.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والقبول والرضا، السداد في الخطى، والتنوير في الدجى إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع مرتبة ألف بائيا.

أولا: المصادر

1-لطفية الدّليمي: مدني وأهوائي (جولات في مدن العالم)، دار السويدي للنّشر، بيروت-لبنان، ط1، 2016م-2017م.

ثانيا: المراجع

1-المعاجم والموسوعات:

01- بطرس البستاني: محيط المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، المجلد 5 (لباب التين والطاء)، ط1، 2009م

02- فارس بن زكرياء الرّازي: مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ط2، 2008م.

03- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 8، ط4، 2005م.

04- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1، 1424هـ، 2003م.

2-الكتب:

01- أحمد رحيم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار صادق الثقافية، ط1، 2012م.

02- أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، د ط، ت.

03- أدونيس: الشعرية العربية، دار الأدب، بيروت، ط2، 1989م.

04- أبي عبد الله محمد بن علي أحمد بن سعود العبدري: رحلة العبدري، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 1426هـ، 2005م.

05- إميل يعقوب وميشال عاصي: معجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

06- بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.

07- تزفيطان تودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبحوث ورجاء بن سلمة، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، ط2، 1990م.

08- جرار جنيت: حدود السرد، ترجمة بن عيسى بوحمالة، في كتاب طرائق التحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، د ط، 1992م.

09- جورج غربي: أدب الرحلة، تاريخه وأعلامه، دار الثقافة بيروت، دط، ت.

10- حسن بحراوي: بنية الشكل الرّوائي (القضاء، الزّمن، الشخصية) الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط2، 2009م.

11- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية -دراسة مقارنة بين الأصول والمنهج-المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

12- حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

13- دانيال هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيّد، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د ط، 1997م.

14- رونال بارت وآخرون: طرائق التحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، دط، 1992م.

15- رومان ياكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988م.

16- د. زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، دط، 1401هـ، 1981م.

17- سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) مهرجان القراءة للجميع (مكتبة الأسرة)، د ط، 2004م.

18- صادق قسومة: طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2000م.

19- د. صلاح فضل: قراءة الصورة وصور القراءة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997م.

20- عاطف جودة نصر: الخيال مفهوماته ووظائفه، الهيئة المطرية العامة للكتب، مصر، د ط، 1984م.

21- عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ): أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1119م.

22- عبد العزيز بن سعود العويد: لطائف من رحلات الشيخ الرحالة، محمد ناصر العبودي، دار أثلوثية، الرياض، ط1، 1435هـ، 2014م.

23- عبد العظيم علي القناوي: الوصف في الشعر العربي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1368هـ-1949م.

24- عبد القاصر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ترجمة: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2014م.

25- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1-2، 2002م.

26- تمال بن محمد الريامي: مشاهير الرّحالة العرب، كنوز القاهرة، ط1، 1434هـ، 2013م.

27- محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشّعراء، ترجمة: أحمد إبراهيم دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

28- محمد نجيب العمامي: الوصف في النصّ السردّي بين النظرية والإجراء، دار محمد علي للنشر، صفقاس، تونس، ط1، 2010م.

29- مشري بن خليفة: الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالتها النصية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، د ط، 2010م.

30- نوال السعداوي: رحلاتي في العالم، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، د ط، 2017م.

31- نداء أحمد مشعل: الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، عمان، الأردن، ط1، 2015م.

32- يوسف وغليسي: الشعريات والسرديات، دار أقطاب الفكر، قسنطينة، الجزائر، د ط، 2006م.

3-الرسائل والأطروحات:

01- آمنة عبد الجليل، سليمان القواسمي: جماليات الوصف في روايات سليمان القوابعة-رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجيستار، جامعة مؤتة، 2014م.

02- المسعود جزادي: الرؤية المركزية-دراسة مقارنة في أنساق الخطابات الرحلية العربية والغربية-رسالة دكتوراه، تخصص أدبي، جامعة قاصديا مرباح، ورقلة، 2016-2017م.

03- حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، (أطروحة لنيل درجة الدكتوراه) الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام أباد، 2009م، 2013م.

04- علية عباد: شرعية السرد في رواتي "اعترافات حامد المنسي" والروابي الجميلة "للأزهار عطية"، أم البواقي، 2012م.

05- عبد المجيد الطيب عمر: منزلة اللّغة العربية بين اللغات المعاصرة (دراسة تقابلية) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة أم البواقي، أم درمان الإسلامية، 1431هـ، 2010م.

06- مديحة سابق: فعاليات الوصف وآلياته في الخطاب القصصي عند السعيد بوطاجين (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1434هـ، 2013م.

07- هبة براهيم منصور اللّبدي: الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث (أطروحة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2012م.

4-المجلات والدوريات:

01- د. أورنك زينب الأعظمي: مشاهدات في الهند (دراسة نقدية).

02- خولة بن مبروك: بين تعدد المصطلح واضطراب المفهوم، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع، 2013م.

03- سمر الديوب: الوصف في السرد العربي القديم (منظر صيد لعبد الحميد الكاتب-أ نموذجًا-)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع والعشرون، 2019م.

04- سيد جودة: ندوة، مجلة إلكترونية، للشعر المترجم هون كونغ.

05- عواد علي ويسرى الحنابي: الجديد (لطفية الدليمي عصيان الوصايا)، ثقافة عربية، جامعة لندن، العدد الواحد والسبعون، ديسمبر، كانون الأول، 2020م.

06- فوزية قفصي: شعرية الوصف في أدب الرحلة العربي القديم ابن بطوطة أنموذجاً، مجلة التواصل، العدد السابع والثلاثين، جامعة طارف، مارس 2013م.

07- د. نبهان حسون السعدون: ما لم تقله خوذتي، دراسة تحليلية للوصف في قمص فارس سعد الدين، العدد السابع والعشرين.

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ

المدخل: الرحلة في الأدب العربي ..... د

أ / الرحلة في الأدب العربي القديم 5

ب / الرحلة في الأدب العربي الحديث 8

ج / الرحلة النسوية في الأدب العربي 10

الفصل الأول: شعرية الوصف في أدب الرحلة 12

أولا: حول مفهوم الشعرية 13

1- لغة 13

2- اصطلاحا..... 14

ثانيا: أصول الشعرية 15

1- الشعرية عند الغربيين..... 16

2- الشعرية عند العرب.....17

ثالثا: حول مفهوم الوصف..... 19

1- لغة 19

2- اصطلاحا..... 20

رابعا: وظائف الوصف..... 21

1- الوظيفة التفسيرية..... 21

2- الوظيفة الجمالية..... 22

3- الوظيفة السردية..... 23

4- الوظيفة التصويرية..... 23

خامسا: أنواع الوصف 24

سادسا: علاقة الوصف بالسرد 25

سابعا: شعرية الوصف الرحلي 27

1- الصورة..... 27

أ. الصورة البلاغية 29

ب. الصورة الكاريكاتورية 29

ج. الصورة النمطية 29

2- الخيال والتخييل..... 30

الفصل الثاني: شعرية الوصف في رحلة "مدني وأهوائي جولات في مدن العالم" للطفية الدّليمي..... 30

أولا: وصف الفضاء 33

1- وصف الفضاء المفتوح..... 34

2- وصف الفضاء المغلق.....42

ثانيا: وصف الشخصيات 46

1- وصف الشخصية الرئيسية 46

2- وصف الشخصية الثانوية.....49

ثالثا: حدود العلاقة بين الوصف والسرد 52

رابعا: لغة الوصف.....61

خامسا: الملحق 69

الخاتمة.....75

قائمة المصادر والمراجع..... 79

ملخص الدراسة

تعالج هذه الدراسة شعرية الوصف في أدب الرحلة، وتتخذ رحلة مدني وأهوائي "جولات في مدن العالم" موضوعا للاشتغال حيث تروم الكشف عن تقنيات الوصف المستعملة من قبل الكاتبة وتبحث عن شعرية العلاقة بينه كمكون وغيره من المكونات في طليعتها السرد.

ولقد عرضت الدراسة لمفهوم الوصف ووظائفه وأنواعه وتتبع أشكاله البلاغية في الرحلة وعلاقته بعناصر النص الرحلي كالشخصيات والفضاء والسرد من باب أولى.

الكلمات المفتاحية: الرحلة في الأدب العربي، الشعرية، الوصف، السرد.

SUMMARY STUDY

This poetry study adresses the description in the literature of the journey and takes the journey of the manni and antenna tours of the worlds cites as a topic to work where you want to reveal the description techniques used by the writer and look for the poetry of the relationship between him as an ingredient and other ingredients at the forefront of the narrative.

The study presented the concept of description and its functions and types and followed its rhetorical forms on the journey and its relationship to elements of the travelling text such as personalities, space and narrative.

Key words: Journey in arabic literature, Poetry, Description, Narrative.